

نقـولا يوسف

عبد الرحمن صدقي الكاتب الشاعر

بقلم نقولا يوسف

* * *

فقدنا فجر العشرين من يناير ١٩٧٣ ــ اديبا عربيا مكينا ، كرس حياته العريضة لخدمة الآداب والفنون ــ كاتبا وشاعرا ، وباحثا ومحاضرا ، وموجها للهيئات الفنية والاذاعية ، وعضوا عامــلا في لجان الشعـر والمسرح ، ومديرا لدار الاوبرا بالقاهرة ، ومخلفا من المطبوعات ديوانين من الشعر ، وستة مؤلفات من النثر .. ومن المخطوطات ما يضم الكثير من المقالات الادبية والنقدية ، والذكريات والاحاديث والصور التاريخية .. غير ترجمات شتى من مختار الاشعار والاقاصيص الاوربية ، ممـا كتب خلال الاعوام الستين الاخيرة من حياته .. منه ما نشر في الصحف والمجلات ، ومنه ما ألقي في احاديث ومحاضرات ، وهو مـن لـم يكتب نظما او نثرا في غير اسلوب جزل رصين ، ولغة فصيحة بليغة ، وفـي موضوعات شائقة منوعة ، تحلق في سماء الشرق والغرب ، وفي رحاب القديم والجديد ، يتأتى في تصويرها متمشيا مع ذوقه الخاص ، ورأيه المستقل ، حتى فيما تطلب اليه المجلات كتابته لاعدادها الصادرة فـي بعض المناسبات ..

لقد اعادتنا تلك السطور التقليدية التي نعته بهـا الصحيفـة اليومية ، وسط ضجيج الانباء وحوادث الايام ، ومرت بها جل العيون مر الكرام ، الى أمسيات القاهرة في العشرينيات والثلاثينيات ، لنرى هذا الزميل الاديب ــ الفتـى الفارع ، العريض المنكبين ، العميـق الصوت ، المترفع عن المشاحنات الكلامية ، والخصومات الحزبية ، له آراؤه وصوفيته ، ونقداته وصراحته ، يدلي بها في هـدوء وكياسة ، متجنبا المصادمات الجدلية ، تجنبه كافة المعارك القلمية التـي شغف بها الكثيرون من شباب جيله ، الراغبون في الشهرة والظهور ، يدلف الى بعكوكة المتأدبين المتجمعين في احدى قهوات شارع عماد الدين ، وفي يده او جيبه كتاب او قصة او ديوان .. فهو مثلهـم سوق الوراقين مدرسته ، والكتاب معلمه ، والحياة جامعته .. وهو المثابر على تثقيف النفس بالاستماع والنقاش والمطالعات .. عارضا بضاعته احيانا فـي الصحف والمجلات ، غير متعجل قدوم الشهرة او المال ، جيـل منقب قارىء ، اغناه زاد المكتبات عن شهادات المعاهد والمؤهلات ، هكذا شق شاعرنا الاديب عبد الرحمن صدقي طريقه في مجالات القلم ، لا تسانده غير موهبته واطلاعه ، ثم لمع في النهاية وحاز طيب الذكر ..

وحياة فقيدنا أشبه بمجموعة مـن القصص القصيرة ، تتوالـى احداثها مع الزمن منذ ولادته الى النهاية ، وهـي في جملتها هادئـة الصفحة كوجه البحيرة ، حياة موظف مستقر الحال ، لم يعرف بوهيمية العيش وفوضاه ، ولم يذق منذ طفولته الحاجة والحرمان ، وان كـان بعض هذه القصص تتخللها احيانا المفاجآت واحيانا اخرى الفواجـع المقدرة على سائر البشر ..

وتبدأ الصفحة الاولى من حياته بمدينة « المنصورة » شمالي مصر حيث ولد يوم ٢٦ من ديسمبر عام ١٨٩٦ وكان والده « محمد عثمـان صدقي » قد عين هناك موظفا منذ سنتين .. ثم ما لبث ان نقل الوالد الى القاهرة ، وشغل وظيفة « بقسم الاموال المقررة » في مبنى المحافظة، وحمل طفله معه ــ وكان في الثانية من عمره ــ فلم يعد يذكـر مسقط رأسه ، ولم يزره الا في شيخوخته ، يوم دعي الـى احدى مهرجانات الادب مع ادباء بلدته غير المقيمين بها .. وبالقاهرة امضى شاعرنا معظم عمره لا يبرحها الا في اسفاره خارج وطنه ، وبهـا كان مجال عمله ، ومهبط وحيه ، وقلمه .. وتحت سمائها ختم حياته ، وفي ثراها دفـن شيخا في السابعة والسبعين ..

ويحدثنا الفقيد عن منبته واسرته ، عـن جـده عثمان رفقـي المستشهد في حرب الحبشة .. وعـن والديـه وزواجهما عام ١٨٩٢ وطباعهما ، وعن صباه بالقاهرة ، في ذكريات شائقة نشر بعضها بعنوان: « اعترافات شاعر » ــ ولم يتمها ووقفت عند الطفولة والصبا (١) ــ ولعل باقيها لا يزال مخطوطا مع بقية آثاره ، ومثلها كتاب لم يظهر بعد عنوانه « حياتي في الاوبرا » ــ كان يعده عقب الحريق الـذي أودى بدار الاوبرا في القاهرة شهر اكتوبر ١٩٧١ وكان هو وكيلا ثم مديـرا لهذه الدار عدة سنين ، وعرف الكثيرين من مشاهير فنانيها الشرقيين والغربيين .. كما انه ضمن بعض مقالاته الاخرى المنشورة أشتاتا مـن ذكرياته الخاصة عن حياته ورحلاته ، وصلاتـه بأصدقائه ومعاصريـه الادباء ولا سيما اساتذته طه حسين وعباس محمـود العقاد وابراهيم المازني (٢) ثم احاديثه المنشورة في الصحف او المسجلة في الاذاعة (٣)ــ مما يكون مجلدا من كتب المذكرات والترجمة للذات ، يمـد النقـاد والمتحدثين عن ادبنا الحديث بصور يجتمع فيها الادب والتاريخ ..

وكان قد قدم لاعترافاته المنشورة بمجلـة « الهلال » بكلمة عـن اعترافات جان جاك روسو الصريحة ، كمـا أشار الـى اعترافات تولستوي ، وسان سيمون ، ثم تساءل : « فهل تراني وقد دعيت هنا بمناسبة بلوغي سن الشيخوخة ، الى ان اقدم اعترافاتي قبل مماتي ، واجد عندي للقراء العرب ما اقوله بالحق عن نفسي من امثال ما قاله « روسو » عن نفسه للقراء الفرنسيين ؟.. » ثم قال : « على الرغم من هذا كله سأحاول مع كل ما بين الغرب المتهتر ، والشرق المتوتر من

١ ــ « اعترافات شاعر » ــ مجلة « الهلال » الشهرية بالقاهرة ــ اعداد سبتمبر واكتوبر ١٩٧٠ ــ ويناير ومايو ١٩٧١ .

٢ ــ « ذكريات في ذكرى العقاد » (الهلال ابريـل ١٩٦٧) ــ و « العقاد وسارة » (مايو ١٩٧٢) و « ذكريات عن حيـاة المازني » (مجموعة مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ١٩٦٢) .

٣ ــ منها حديث مسلسل بجريدة « المساجر » بالقاهرة ١٩٧٢ مع سمير وهبي .

ظاهر الاختلاف وباطنه ان اقول الكثير في هذه الصفحات عن حياتي من غير حرص شديد على ان ابدو طوال ما عشته من السنين مثل من تقدموني من كتابنا الاجلاء المبرزين قديسا من القديسين .. » .

ولكنا للاسف لم نطلع بعد – كما سلف القول – الا على القليل المنشور من هذه الاعترافات ، والملاحظ انه في سرد ذكرياته عن نفسه وغيره ، وكذلك في احاديثه عن المشاهير الذين يترجم لحياتهم ، يبدو البارع المتجلي في فن القصة والرواية ، ومع ذلك فهو لم يشارك مئات المتسابقين في مضمار القصة – القصيرة او الطويلة او التمثيلية – وقنع بأن يكون الشاعر ، المؤرخ ، الناقد ..

اطلعنا فيما نشر عن حياته ، على انه ولد في وقت عصيب ، عصف فيه وباء الكوليرا بالبلاد ، وفقدت والدته أمها مع سائر الضحايا، قبل ولادته بأربعة اشهر ، بعد ان شهدت عذابها ثم لبست عليها الحداد . وكانت قد فقدت ايضا ابنتها الصغيرة قبلها .. « كل هذه الانفعالات المجنونة التي انقضت فجأة على أمي .. كان لها ما لا بد ان يكون من ردود فعلها على ذلك الجنين النامي الذي تحمله في احشائها ، بما سرى – لا محالة – اليه من انفعالات اعصابها ، وتشنجات جسدها ، وهو حبيس يضطرب بين جدران بطنها .. » .

ويقول في حديث له : « حينما اعود الى انتاجي الباكر ، أجده ملونا بطابع الحزن ، والمس في طياته النورستانيا والخواطر السود ، والرغبة في الانتحار . وقد عانيت من هذه الاحاسيس طويلا ، ربما بسبب العواصف الداخلية التي عرفتها .. » .

وفي احياء القاهرة الشعبية القديمة – حول « باب زويلة » و « الدرب الاحمر » – قضى شاعرنا طفولته وصباه ، وهي منطقة مزدحمة بالجوامع والزوايا والتكايا .

« فأي عجب والحالة هذه ان ينشأ أهل هذه المنطقة – وانا منهم – على الاعتقاد المطلق بما في الغيب من اسرار تجل عجائبها عن الحصر .. » وشب الطفل وقد ملأت عينيه مظاهر الايمان والتدين ، وتقاليد الموالد والحلقات .. ولازمته نزعة غيبية لم تبرح آثارها نفسه زمنا طويلا .. ثم كانت تهمس احيانا في شعره واحاديثه ..

ولحق الصبي « بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية » بدرب الجماميز من أحياء القاهرة العتيقة ، حيث تلقن مبادىء القراءة والكتابة ، ونال منها الشهادة الابتدائية وفي ذلك الوقت كان يرى والده في الامسيات يتلو على امه بعض القصص الشعبية القديمة في طبعاتها المصفرة الورق لتسليتها ، فيحاول بدافع الفضول ان يستمع الى ما يقرؤه ابوه على أمه ، ولكن كان ابوه يصده عن ذلك .. فيسوقه هذا الى التقليب في مكتبة ابيه في غيبته ، وتقع يده على حكاية «فيروز شاه» ثم على قصة « سيف بن ذي يزن » .. وقصة « حمزة البهلوان » .. كما يعثر على حكايات « الف ليلة وليلة » – وينكب على مطالعتها في شغف .. وكانت هذه القصص – كما يقول – تستثير خياله ، وتستوقد حماسته ، وتنسيه نفسه .. وكان اذا خلا تخيل انه هذا البطل او ذاك من ابطال القصة الشعبية ، وراح يمثل دوره .. ثم انها فتحت عينيه على اطوار المرأة وغرائزها مما حرم من معرفته في جو أسرته المحافظة المتزمتة .. (٤)

ولا شك ان هذه القصص الشعبية التي أدمن قراءتها في صباه ، وتلك الحكايات التي تهمس بها زوايا حيه وخفاياه ، فتنقله الى مراتع الاخيلة والاحلام ، قد نمت في نفسه ايضا ملكة الشعر فاجتذبته اليها دواوين الشعراء ، واخذ يحتذي اصحابها في نظم مشاعره واحلامه واصبح في غده مثلهم من اصحاب الدواوين .. كما امست هذه الحكايات موردا لبعض مقالاته مثل « نساء الف ليلة وليلة » و « عصر الحريم في الادب الشعبي القديم » وقصة « شهرزاد » في كتابه « الوان من الحب » ، وابي نواس وهرون الرشيد في الحكايات .. ثم نقله خياله الى قراءة الروايات الحديثة بأقلامها الشرقية والغربية ..

وترجمة عدد من الاقاصيص الاوربية وتلخيص بعض الروايات والمسرحيات العالمية (٥) فيما بعد .. والتعلق بمشاهدة التمثيليات والسينمائيات، والاهتمام بالفن المسرحي ليصبح يوما مديرا لدار الاوبرا ..

انه يكتب في شيخوخته عن احلامه في عهد التلمذة : « كنت في الدرس حاضرا كغائب . كنت شاهدا بالجسم ولكنني كنت غائبا بتفكيري وعقلي واحساسي . فانا منذ الصغر من حالمي اليقظة اقضي حياتي في الاحلام ، سارحا مع الاوهام ، في دنيا غير هذه الدنيا ، وفي آفاق بعيدة لا آخر لها .. »

وكان قد واصل تعليمه « بالمدرسة الخديوية الثانوية » بالقاهرة، ونال منها « البكالوريا » – شهادة الدراسة الثانوية – ثم فكر في الالتحاق « بمدرسة الحقوق الفرنسية » ولكنه ما لبث ان انصرف عنها اذ لم تصادف علومها هوى في نفسه ، مفضلا الدراسة الذاتية للادب والاشتغال بالقلم .. ولم يتعد هذه المرحلة من التعليم .. وكان من زملائه بالمدرسة الخديوية الطالب « علي ادهم » (المولود بالاسكندرية عام ١٨٩٧ وصاحب المقالات والمؤلفات الفلسفية والنقدية) – وبين معلميه في تلك المدرسة المرحوم الكاتب ابراهيم عبد القادر المازني – وكان يومذاك شابا من مواليد ١٨٨٩ ومن خريجي مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩ – وثمة بدأت الصلة الادبية بين الاستاذ المازني المعلم ، وبين الطالب عبد الرحمن صدقي وظلا يلتقيان ويتزاوران حتى انتقال المازني الى رحمة الله عام ١٩٤٩ ، واخذ صدقي ينشر ذكرياته بعنوان : « القزم العملاق » و « ذكريات عن حياة المازني الشخصية والفنية » ونشرت هذه الاخيرة في « مجموعة مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ١٩٦٢ » (٦) وفيها يتحدث عن طريقة المازني في تعليم الترجمة من العربية الى الانجليزية وبالعكس ، وعن مقدرته في الترجمة .. ويذكر انه حثه على اقتناء مجموعة من الشعر الانجليزي اسمها ، « الخزانة الذهبية » وكانت بين الكتب المقررة على طلبة مدرسة المعلمين ، وبدأ عبد الرحمن يدرس قصائدها ، المنتقاة في ذوق وعناية ، ثم يروي في سياق ذكرياته ان صديقه المازني عندما أصدر ديوانه اهدى اليه نسخة فأخذ يطالعها ويستوعب ابياتها من الفاتحة الى الخاتمة .. وبعد أيام كان يقرأ « الخزانة الذهبية » . « وهنا كانت المفاجأة .. وما كان أشد دهشتي ، فاني ما كدته أتجاوز في المطالعة صفحات حتى وقفت هنا وهناك على بعض أبيات استوقفتني معانيها ، وذكرت كأنما قرأتها قبل اليوم في الشعر العربي وسرعان ما حضرني هذا الشعر – انه من شعر استاذي المازني .. وعدت ثانية اراجع الابيات الانجليزية انها لشكسبير من مقطوعاته القصار.. وقد تكرر مثل هذا التوارد في الخواطر مرات قلائل أخرى ، وفي مواضع متفرقة .. لشعراء مشهورين امثال بيرون وشللي وبيرنز وهود وغيرهم في اشهر مقطوعاتهم القصيرة الغنائية ، وهي من شعر استاذي المازني مفرغة في قالب رائع من البيان العربي كأنها من نظم الشريف الرضي ... »

ويتابع قصته جامعا بين ما يقتضيه النقد من صدق وبين ما يقتضيه الوفاء للصديق من مجاملة وتبرير ، فيقول انه عمد الى اثبات هذه الامثلة على اتفاق الخواطر من مختار الشعر الانجليزي وشعر المازني في حاشية ديوانه اعجابا بهذه الملكات في استاذه . ومضت على ذلك اعوام ، والصداقة بينه وبين استاذه تزداد وثاقة مع الايام ، ثم حل بعد ذلك يوم لا ينساه .. زاره عصر ذلك اليوم في منزله صديقه المازني على غير ميعاد سابق ، وجلس في مكتبه .. واستأذنه في ارتداء حلته للخروج معه .. ولما عاد وجد في يده نسخة ديوانه وقد تناوله من

---

٤ – عن ترجمته الذاتية في اربعة مقالات بمجلة الهلال .

٥ – انظر كتابيه : « ألوان من الحب » – (كتاب الهلال الشهري – مايو ١٩٧٠) – و « تاجور والمسرح الهندي » ١٩٦٢ .

٦ – ص ١٩٥ – ٢٠٣ .

خزانة كتبه المحدودة وقتئذ ، وهي النسخة التي اهداها اليه منذ اكثر من عام « وكان مستغرقا بكليته ، بجميع جوارحه وجملة نفسه في النظر فيه .. فجلست مرتبكا واجما ناقما على نفسي وعلى الحظ ان كان استقبالي اياه في مكتبي ، وان اتفق وجود ديوانه قيد عيانه .. وظل استاذي في استغراقه في المراجعة ، يأتي على الصفحة بعد الصفحة.. ويتوقف عند بعضها للمقابلة بين أبياته وبين اضافاتي في حواشيها ، وانا في موضعي اراعيه ، وقد اخذ الخجل مني ماخذه .. واخيرا ادركتني رحمة الله فطوى الاستاذ ديوانه ، وتركه جانبا ثم قال وهو يفرغ في جوفه قدح القهوة البارد في جرعة واحدة : ارجو في يوم من الايام ان تسمح باعارتي الديوان كي انبه في الطبعة الثانية الى ما تنبهت اليه وسطرته في حاشية الصفحات ... »

وهذا المثل من رواية ذكرياته عن المازني ومثلها ما كتب من ذكريات عن العقاد وطه حسين واحمد شوقي .. وغيرهم ممن عاصر وعرف ، او ممن لم يعاصر من الاقدمين - تشير جميعا - بجانب موهبة في فن القصة الى طريقته في النقد وفي التاريخ ، فهو لا يبتعد عن الوقائع الثابتة او المتداولة ، ولكنه يترفق في التعليل والتحليل ، ويوفق بين الصراحة والسماحة .. فاذا صور بعضهم المازني قزما لضآلة جسمه وقصر قامته ، فهو مع ذلك « القزم العملاق » .. واذا نسبت اليه السرقات الادبية فانها لا تعدو ان تكون « توارد خواطر ».. « وان الناظر في تاريخ الادب لا يجد شاعرا او كاتبا من المشاهير الكبار الا اتهم بالسطو الادبي على بعض الآثار ، وانتحال ما ليس له . وقد استهل الناقد العربي « ابن رشيق » الفصل الذي عقده على السرقات الادبية بقوله : هذا باب متسع جدا لا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلامة منه » .. وان عاب بعض الصحف الادبية عند ظهور الديوان على عباراته ونقص مبانيه ، فأن أهل العرفان يرونها موصولة النسب بالشريف الرضي وامثاله في متانة النظم وروعة البيان ..

ومثل هذا ما جاء في مقالته : « ذكريات في ذكرى العقاد » ، (الهلال ابريل ١٩٦٧) فانه في حديثه عن « المعارك الادبية » التي ملأت حياة العقاد يقول : « لا يذكر المعاصرون معركة شبت نارها بين المفكرين في شأن من الشؤون ابتداء من الادب والاجتماع الى السياسة والدين، الا كان العقاد من مساعيرها الاولين . وقد اندفع الى الحلبة فارتفعت الحلبة من مقارعة الحجة بالحجة ، فاذا هي حرب ضروس قد دارت رحاها ، واستمر لظاها من تلاقي الاقران ووقوع الصدام . وبا سرعان ما ضاق الحجال على الصيال فكان الالتحام ، فاشتجرت الرماح ، وصلصلت من القراع بيض الصفاح ، وتلاحق الطعن والضرب ، دفعا بالاسنة في الصدور تارة ، وخفقا بالسيوف على الرؤوس اخرى ، وقد تداعت الاصوات وتجاوبت الاصداء حتى زلزلت الارض تحت الاقدام ..! »

وبعد هذا الوصف الحربي الطريف لمعارك العقاد يقول بلسان الصديق :

« وقد كنت وما زلت اذكر من صديقي هذه المعارك ، فلا انظر اليها الواحدة بعد الاخرى نظرة الناقد ، بل كنت وما زلت انظر اليها في جملتها نظرة الشاعر ، فاتمثل صديقي بعين الخيال ، بطلا من اولئك الفرسان العرب في حروبهم القبلية أيام الجاهلية ، وامثالهم في القديم من أساطير البطولة فارسية وهندية ويونانية ، ومن بعدها القرون الوسطى في عصر الفروسية ، وربما بعد اوانها وانقضاء زمانها حيث يتراءى لي احيانا الفارس المثالي « دون كيشوت » الاسباني ليحلو لي احيانا من قبيل الدعابة ان اتمثل العقاد وكأنه مثاله الراشد الجاد ... »

ويسوق صدقي امثلة من المعارك العقادية - بعضها في اجمال والبعض الاخر في تفصيل - ثم يردف معلقا :

« .. ويجدر بنا ان نتوقف لحظة هنا لنشير الى انه في كثير من الاحيان ، تكون امثال هذه المعارك من قبيل لفت الانظار والاعلان . وهذا صحيح ولكنه يكون غالبا في أوان الشباب وعنفوان الصحة ، واوليات العهد بالحياة ليدفع الفتى بنفسه الى الامام ، وليشق لنفسه طريقا وسط الزحام . كذلك قد تكون معارك بعد ادبار الشباب وتقدم الاعمار طلبا للمزيد من الجاه والاعتبار .. ولكن مع الحذار في الاختيار لضمان السلامة من الاخطار ، فهل كان العقاد واحدا من هؤلاء ؟! .. »

* * *

نعود الى شاعرنا عبد الرحمن صدقي وقد حاز الشهادة الثانوية من المدرسة الخديوية ، فانه لحق بوظيفة في « مراقبة الامتحانات » بوزارة التعليم بالقاهرة ، وامضى هناك بضع سنوات قبل ان ينتقل الى وظائفه الثقافية والفنية التالية .. وتشاء المقادير أن يكون محور قصة في اثناء قيامه بوظيفته هذه بمراقبة الامتحانات ، فان المرحوم عباس محمود العقاد - وكان يحرر بجريدة « روزا اليوسف » اليومية منذ صدورها عام ١٩٣٥ - اخذ يهاجم وزارة توفيق نسيم باشا التي تشكلت بتأييد من « الوفد » على أساس اعادة دستور ١٩٢٣ الذي عطله اسماعيل صدقي باشا ، ولكنها لم تلبث ان وقعت تحت سيطرة القصر والانجليز فاخذت تؤجل اعادة الدستور منتحلة مختلف المعاذير.. كما راح يشن حملة على نجيب الهلالي باشا وزير المعارف في هذه الوزارة .. وحدث ان نشر العقاد معلومات عن الامتحانات العامة ليحرج هذا الوزير . فظن الهلالي ان عبد الرحمن صدقي الموظف بمراقبة الامتحانات والصديق الملازم للعقاد هو من أفشى لصديقه تلك الامتحانات . واصدر امرا بنقل عبد الرحمن الى اسيوط ، وارتحل شاعرنا اليها ، ثم اتضح بعد ذلك ان ما نشره العقاد لم يكن له أساس من الصحة فظهرت براءته .. وتبدلت الوزارات ونقل عبد الرحمن الى مراقبة الفنون الجميلة بالقاهرة وكانت تتبع وزارة التربية ، وعمل هناك مع الفنان الفرنسي مسيو ريمون .. وكان واحدا ممن تولوا ادارة « مصلحة الفنون » التي مهدت فيما بعد لانشاء وزارة الثقافة ..

وكان انخراطه في سلك الادارة والاشراف على دار الاوبرا بالقاهرة، حيث عين سكرتيرا لها فوكيلا فمديرا طوال عشرين سنة، اجمل فترات حياته الوظيفية واملؤها بالذكريات (وكنا نترقب نشر هذه الذكريات قبيل وفاته في كتابه « حياتي في الاوبرا » الذي لم يظهر حتى الساعة كما سلف) كما كنا نود ان نقرأ مؤلفا وافيا عن هذه الدار ذات التاريخ الفني الطويل في حياة امتدت نحو مئة سنة - (٧) وانتهت باحتراقها عام ١٩٧١ .

فقد اتيحت لعبد الرحمن صدقي في ذلك الوسط الفني معرفة الكثيرين من مشاهير أهل الفن المسرحي في التمثيل والموسيقى والانشاد والتأليف شرقيين وغربيين . كما اتيح له السفر في بعثات الى اقطار اوربا وبخاصة ايطاليا وفرنسا وانجلترة لزيارة مسارحها ، ودعوة فرقها الى القاهرة (٨) فوسعت تلك الرحلات مداركه الفنية ..

وكانت وزارة التربية قد تولت الاشراف على دار الاوبرا منذ عام ١٩٣٨ واسندت امورها الى أيد عربية بعد ان طال اشراف الموظفين الاجانب عليها .. فاختير الفنان المسرحي المرحوم سليمان نجيب وكيلا لهذه الدار ، ثم عين مديرا لها ، وعبد الرحمن صدقي وكيلا .. وكان الاديب صلاح ذهني (المتوفي في زهرة العمر عام ١٩٥٣) سكرتيرا منذ

---

٧ - ظهر عام ١٩٥٨ كتاب « الباب الخلفي » لشكري راغب المدير الفني لدار الاوبرا . روى فيه ذكرياته الخاصة ، ومنها عن عبد الرحمن صدقي (ص ٨٦ - ٨٨) ، كما نشر عن الاوبرا عدد من المقالات في الصحف .

٨ - من ذكريات رحلاته : مشاهداته في ايطاليا (الهلال نوفمبر ١٩٦٥) واوبرا باريس (يناير ١٩٧٢) .

عام ١٩٤٤ .. وظل سليمان نجيب خلال اكثر من ستة عشر عاما يشرف على الدار وكيلا فمديرا ، فلما توفي شغل عبد الرحمن منصب المدير..

ويقول الشاعر صالح جودت : (٩) « عرفت عبد الرحمن صدقي منذ سنوات طويلة كواحد من ثلاثية محببة في دار الاوبرا الراحلة ، والاخران هما سليمان نجيب وصلاح ذهني ، عليهما رحمة الله. وكانت لنا مع هذا الثلاثي الحبيب في الاربعينات من هذا القرن لقاءات فكرية جميلة في غرفة المرحوم سليمان نجيب بدار الاوبرا – وهو يومئذ مديرها – وكثيرا ما شهد هذه الندوات معي نفر من اعلام الادب والفن، على رأسهم الدكتور ابراهيم ناجي ومحمود تيمور ويوسف وهبي والدكتور حسين فوزي وغيرهم ، كنا ننتقل من هناك ، بعد انتهاء الاوبرا ، الى مقهى « ريجينا » بشارع عماد الدين ، حيث كانت تنعقد ندوة اخرى من ندوات الادب والفن ، فننضم اليها ، ثم نظل ننتقل من مقهى الى مقهى ، ومن ندوة ساحرة الى ندة اطول سهرا حتى مطلع الفجر ..

« وذهب سليمان نجيب الى رحمة الله ، فجلس عبد الرحمن صدقي مكانه في دار الاوبرا . ثم عين مستشارا فنيا للتلفزيون المصري عند انشائه ، فشاركني حينا في مراجعة نصوص الاغاني والاوبريتات ، ثم كان له فضل الاشراف على انشاء فرقة الفنون الشعبية الخاصة بالتلفزيون الى ان تقاعد ، وقصر نشاطه على ما حفلت به « الهلال » من مقالاته الممتعة ... »

كذلك كان عبد الرحمن صدقي عضوا في لجنتي الشعر والمسرح بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بمصر ، وعضوا في لجنة تفرغ الادباء والفنانين ، ومحاضرا في أدب المسرح بمعهد الفنون المسرحية بالقاهرة ..

* * *

وكان فقيدنا قد بدأ حياته الادبية بنظم الشعر ، وآل على نفسه ان يكون بين شعراء العربية المعدودين ، وكانت ممارسة النظم هوايته المفضلة على سائر فروع الادب ، وللشعراء عنده ولدى الكثيرين مكانة مرموقة لا يبلغها غير الاقلية من ارباب القلم ، الموهوبين الصابرين .. كان هذا ايضا رأي معاصريه الادباء ، وهكذا بدأ طه حسين ومصطفى المنفلوطي وزكي مبارك وابراهيم المازني .. وغيرهم ينظمون القصائد ثم انصرفوا الى النثر واشتهروا به .. ولكنه ظل ينظم وينشر الى آخر حياته ، وخلف من منظوماته ما اجتمع في ديوانين من الشعر ..

وفي فجر شبابه نشر احدى بواكير نظمه بجريدة « عكاظ » الاسبوعية بالقاهرة . وكانت تنشر لشوقي وشكري والعقاد والمنفلوطي والمازني ... ثم اخذ ينشر نظمه ونثره بصحيفة « السفور » الادبية الاسبوعية (١٠) . قبل ان ينقل قلمه الى « الهلال » و « الرسالة » .. وغيرهما من المجلات والصحف ..

وكان من منظوماته الباكرة – وهو في الرابعة والعشرين من عمره – نشيد قومي اشترك به في مسابقة اقيمت عام ١٩٢١ لاختيار نشيد وطني وكان مطلع نشيده :

يا بني النيل واحفاد الألى طلعوا فجرا على الكون القديم
رفعوا الاهرام والعالم لا يبتنى الا خصاصا من هشيم

وتقدم الشاعر احمد شوقي ايضا الى هذه المسابقة بنشيد مطلعه:

بني مصر مكانكمو تهيا فهيا مهدوا للملك هيا

وقررت لجنة التحكيم في المسابقة منح الجائزة الاولى لنشيد شوقي مما اغضب المرحوم عباس العقاد وكان يومذاك خصما لشوقي وصديقا لعبد الرحمن صدقي . واذا بالقدر ينسج قصة أخرى في حياة شاعرنا عبد الرحمن ، فقد نشر العقاد والمازني عام ١٩٢١ كتابهما « الديوان » في جزئين ، واختص كل منهما بنقد بعض كبار الادباء من معاصريهما ، وكان شوقي من نصيب العقاد فأخذ في الجزء الاول من هذا الكتاب يفند نشيد شوقي السالف الذكر بيتا بيتا ، ثم اثبت نشيد عبد الرحمن صدقي بأجمعه للمقارنة ، وعلق عليه بقوله : « رأينا ان ننشر هذا النشيد (اي نشيد عبد الرحمن صدقي) بعدما كتبناه عن نشيد شوقي ، ليقارن القراء بينهما ويعلموا ما الذي يخشاه من التفات الاذهان الى غيره . فان صاحب النشيد المنشور هنا شاب لم يظهر بعد شيئا من شعره للقراء ، وشوقي يملأ طباق الارض باسمه كل يوم منذ نيف وثلاثين سنة . ومع هذا فالفرق بين النشيدين لا يخفى على احد .. » . وهكذا وقف شاعرنا وسط عثير المعركة وعجاجها ، وهو من لم يناصب الناس العداوة ينظر الى تلك المعارك القلمية – على حد قوله – نظرة الشاعر لا نظرة الناقد ، ويتخيل صديقه بعين الخيال بطلا من أولئك الفرسان في حروبهم القبلية أيام الجاهلية ... وظل عبد الرحمن صديقا ومريدا للعقاد ، وموضعا لسره ومقدرا لشعره حتى النهاية ..

وبين الحين والحين كان ينشر قصيدة بعد أخرى في المجلات ، عاطفية او عقلانية او رثائية كمرثيته للرئيس جمال عبد الناصر ، ولصديقه صلاح ذهني – عودة المسافر – وللعقاد وغيرهم ، ثم جمع اكثر شعره في ديوانيه : « من وحي المراة » و « حواء والشاعر » وقد استلهم معظم قصائد ديوانه الاول من حزنه على وفاة زوجته الاولى ، وكان قد تزوج من ايطالية شاركته حياته الادبية والمادية ، وبادلته الحب والوفاء فلما توفيت عام ١٩٤٩ احس باللوعة والوحدة ، ورثاها بأرق الشعر ، وافاض في وصف مناقبها ، وحياته السعيدة معها ، ومعاونتها له في شؤونه الادبية والفنية حتى لقب بعدها « بشاعر الوفاء » .. ومما قال فيها :

جمعت لي الدنيا فأغنيت معدمي — وأمتعت محرومي وزينت عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوى — ولا منزل مثل الهوى والمنازل
وما منزلي الا الذي أنت ملؤه — وما من هوى الاك بين العقائل

وقوله :

ونجلس في حضن الطبيعة، صمتنا — مناجاتها ، ان الطبيعة معبد
ونجلس للاشعار ندرسها معا — كأن ليس غير الكتب في العيش مقصد
فلا درس الا وهو عندك أرشد — ولا لهو الا وهو قربك أرغد

حتى عوضه الله في صبره فتزوج من اخرى – اسبانية ايطالية – عاشت معه بقية حياته في جو من الوفاء والمعاونة والسلام وقد قال فيها :

على أنني لم أبرح الغرب خاليا — فقد ساق لي المقدور حورية البحر
بأندلس كانت منابت كرمها — ومن هذه الجنات قد عتقت ...
نمتها بلاد الشرق ثم تغربت — فما نسيت ما كان للشرق من سحر
تجوب البحار السبع لم ترس فلكها — وأرست مراسيها اخيرا على ثغرى

ونراه في ديوان « حواء والشاعر » لا يتغزل بحواء معينة بل في بنات حواء على اختلاف انواعهن واجناسهن والوانهن ، ولع شاعر فنان بالجمال الظاهر والباطن ، ويراهن بعين الخيال عرائس الشعر وملهمات الفن ، ويخاطب امهن « حواء » :

أيا حواء عرشك قلب شاعر — فلا تدعيه يوما غير عامر
وما عهدي بآدم قال شعرا — ولكن قلب من يهواك شاعر
لقد خطرت بناتك في فؤادي — فكن عرائس الشعر الحرائر
وقد طالعته أنماط حسن — براها مبدع في الخلق قادر

شبهه صحابه بطائر البطريق (او البنجوين) – « وهو طائر من طيور الماء ، ذو أنفة واعتداد ، قد قصرت أجنحته ولم تقصر همته .. يخطو بخطى قصيرة ، ويمشي متحاملا على نفسه ، كأنما يحمل اثقالا تهتز معه يمينا ، ويهتز معها شمالا في هدوء وجلال ، وأناة وطول احتمال ، ألوف وفي أنيس .. طبع على الوفاء ، وعرف بين الحيوان

٩ – مجلة « الهلال » مارس ١٩٧٣ .

١٠ – كان يصدر « عكاظ » المرحوم فهيم قنديل منذ ١٩١٣ – ويصدر عبد الحميد حمدي « السفور » منذ ١٩١٥ .

بانه من اوفى الازواج .. فهو يعيش ما عاش محبا لها ، امينا لغيبتها، ويظل كذلك حتى بعد ان يطويها الردى .. » (١١) ـ وقد ارتضى هذا الشبه فكتب تحت صورته حين عرضها عليه الرسام هذه الابيات :

يـا قـوم لا بحث ولا تحقيق	ان شئتمو ، أنـا ذلك البطريق
أنـا ذلك الطير المهيض جناحـه	يمشي ، وحلم جناحـه التحليق
أنـا ذلك الطير الالوف فكل مـن	لاقى على وجه البسيط صديق
أنـا ذلـك اللاغـي وفي ملغاته	معنى لـدى أهل الفنون عميـق
يـا قوم أنصف واصف منطيق	أن قال انـي ذلـك البطريـق

* * *

اما مؤلفاته النثرية فقد قرأنا مما طبع ونشر منها ستة كتب .. ولـه غيرها لم تجمع بعد فصوله المتفرقة في المجلات ، او مما تركه مخطوطا ، وهذه الكتب المطبوعة هي كما يلي بترتيب تاريخ نشرها : (ويلاحظ ان معظمها صور من حياة الشعراء في كمالها ونقصها كسائر البشر) .

ـ « بودلير ـ الشاعر الرجيم » ـ ظهر في يوليه ١٩٤٣ (بسلسلة اقرأ) ـ وفيه يصور في ايجاز قصة حياة الشاعـر الفرنسي شارل بودلير (١٨٢١ ـ ١٨٦٧) ، ويترجم الى نثر عربي بعضا من اشعـار ديوانه : « ازهار الشر » ومما يقول في مقدمتـه : « ليست هـذه بالترجمة الخالصة لحياة بودلير ، ولا هي بالدراسة النقدية الخالصة لشعره ، ولكنها الشيئان معا .. ولعل الرجل والشاعر لم يمتزجا في احد امتزاجهما في بودلير .. » وبعد ان يذكر ما درج الذاكرون له من أهل زمانه على تهجين سمعته ، وكان هو نفسه احرص الجميع علـى تشويه صورته ، ثم جاء جيـل الشباب فتمثلوه في صورة الشيطـان الرجيم ، وكثر بينهم المقلدون لهذا المثال الذي نصبوه ، وشأن المقلدين الذين لا تخدمهم قريحة ان يترخصوا في المحاكاة .. ولكن من جهـة سوآته ، وهم يشتطون فيها ويغالون ... يقول : « هذا بودلير الرجل من ناحية سيرته ، ولا يختلف عـن ذلك شان بودلير الشاعر في مجموعة اشعاره ـ فهو وان كان يصدر فيها عن حسه ، ولا يخرج بها قط عـن شخصه ومشاكل نفسه ، ومع ما التزمه فيهـا مـن صدق كصدق الاعتراف ، كان صاحب فن خلاق يتصرف في الشكـل ، ويبـدل في الوضع ، ويلفق الازياء ، ويؤلف بين الاشتات ، على موجب صنعته ، ومقتضى قالبه ، تحريا للاثر الفني الذي يتوخاه ... »

« ابو نواس ـ قصة حياته » ـ صدر في اغسطس ١٩٥٣ (كتاب الهلال) ـ ترجم فيه لحياة الشاعر العربي ابي نواس منذ صباه حتـى وفاته وتحدث عن اثر البيئة والعصر والوراثة ، وعن صبوات الصبا ، وحيرته بين المعاصي والتوبة ، وعن ملتقـى التيارات في ظل الدولـة العباسية ، وعن الرشيد وابي نواس في الادب الشعبي والتاريخ ...

ـ ويصور في كتابه : « الحان الحان » ـ انطلاق الحياة في المجتمع العباسي في عصر ابي نواس من مجالات اللهـو ، وحلقـات الادب ، ومجالس الغناء ، ومدارس الموسيقى ، وبذخ القصور ، وحياة الترف، ونواحي الانحلال ـ بريشة مؤرخ شاعر ناقد .. وقد صدر هذا الكتاب منذ عهد قريب في طبعة ثانية مكبرة ومزينة باللوحات الفنية ..

١١ ـ كتاب « حديقة الادباء » لطاهر الطناحي ـ ص ١٧١ ـ ١٧٧ (عبد الرحمن صدقي) .

ـ وفي عام ١٩٥٩ ظهر كتابه : « الشرق والاسلام في أدب جوته » (عن المكتبة الثقافية) ـ ثم اعيد طبعه مزيدا ومزينـا بالصور عـام ١٩٦٧ ـ (كتاب الهلال الشهري) ، ونال عنـه مؤلفه جائزة الدولـة التشجيعية وتناول في مقدمته حديثا عن الشاعر الالماني جوته ، وانه لم تفته العناية بكل ما هو شرقي ، وعكف على دراسة تاريخ الشرق وآدابه في شتى الوانه وعلى اختلاف اوطانه .. واننا بوجه عام نلقـي الشرق والاسلام في بحوثه وفي أدبه القصصي والمسرحي وفي اشعاره ـ ومنهـا « الديوان الشرقي للمؤلف العربي » و « تيمور » و « الفرس » ..

ـ ثم صدر كتابه « تاجور والمسرح الهندي » ـ عـام ١٩٦٢ ـ لمناسبة احتفال العالم بالذكرى المئوية لميلاد شاعر الهند الكبير ، وقـال انه توخى الجانب الذي لم يتعرض له الا الاقلون من الكتاب ، وهـو طاغور المؤلف المسرحي ، وبعد ان تحدث عن نشاة طاغور واثرها فـي تكوينه المسرحي ، وعن محاولاته الاولى في سن الحداثـة ، لخص عشرا من مسرحياته الغنائية والرمزية ..

ـ ونشر كتابه : « الوان من الحب » في مايـو ١٩٧٠. (كتـاب الهلال) ـ تحدث فيه عن الحب في الاساطير ، وهيلين فاتنة طرواده ، ثم عرج على القصص التاريخي فلخص « سلامبو » لفلوبير ، و « حورية الغاب » لمدام بومبادور .. ثم ختم كتابه بعدد من القصص الاسبانية والفرنسية والروسية ترجمها الى العربية ..

واما مؤلفاته التي لم تجمع وتهيا للطبع بعد ، الى جانب كتابيـه السالفي الذكر : « حياتي في الاوبرا » و « اعترافات شاعر » فيمكـن جمع فصولها المتجانسة من الصحف والمجلات ، ونشرها في مجلدات ، ومن ذلك مثلا كتاب عن المسرح وفنونه ومن مقالاته المنشورة : اقـدم تمثيلية عرفتها البشرية ، المسرح العربي بين بطولة الاسطورة والفكرة ، الفكاهة على المسرح في العصور الوسطى ، المسرح والحروب الصليبية، السينما والمسرح ، هل السينما فن ، الفولكلور والرقص الشعبي ، شكسبير والمسرحية السياسية ، اوبرا باريس ، غادة الكامليا ، حلاق اشبيلية ومزين بغداد ، اوبرا باريس ، شهرزاد في مسرحية توفيـق الحكيم .. وغيرها .

ـ كتاب يجمع بين عدد من اعلام الشرق والغرب ، نشر منـه : مقالات عن العقاد ، والمازني ، واحمد شوقي ، وعبد الرحمن شكري وطه حسين ، والمتنبي ، وابي نواس ، وعمر بن الخطاب والمثل الاعلى، ومصرع الذئب بين البحتري والفرد دي فني .. ومن ادباء الغـرب : اندريه شنييه ، وفرنسوا نيللون ، وبرناردشو ، وشوبنهور ، وجوته.. وتاغور .. وغيرهم ...

ـ ثم كتاب عن المراة والحب ، نشر من فصوله : المراة والحياة الزوجية في تاريخنا القديم ، المراة في رأي ابي العلاء ، الحب اقـوى عوامل الطبيعة ، نزعة الحرية عند فتاتنا العصرية ، التفسير الجنسي للتاريخ ، النساء جنس غير فني ، نساء الف ليلة وليلة ، عصر الحريم في الادب الشعبي القديم ، سحر كليوبترا ، الامبراطورة اوجيني .. الـخ ..

ـ وكتاب يجمع بين موضوعات ادبية عامة مثل : الشعر في مرحلة الانطلاق ، البحر في الاساطير والتاريخ والشعـر ، البحـر في الادب الفرنسي ، القمر في الادب الفرنسي ، الربيع في الادب العالمي ، تطور الفن الجميل ، جنون الشباب ، لمحة من فجر التاريخ عـن سيناء .. وفي الروحانيات : فكرة الروح عند الانسان البدائي ، والقرآن فـي الادب العالمي ، ورمضان في القاهرة منذ نصف قرن ...

لقد تحدث عبد الرحمن صدقي قبل رحيله بعدة سنين عن كتاباته المنشورة وغير المنشورة التي لم يقدر لهـا الظهور في كتب مطبوعة ، ولكنه لم يحددها ولعل امرها اليوم بين ايدي ورثتـه ، وقـد نشرت الصحف عقب وفاته أنه اوصى بمكتبته الكبيرة هدية الى حكومة بـلاده تضم الى دار الكتب .

نقولا يوسف

الاسكندرية

وصف خباز

جاور النار قبل يوم حسابه ... مستعينا على اللظى برغابه
جرعت نفسه الجوائح دهرا ... فاستساغت ما شف من اكوابه
لا يبالي بالمر وهو عذاب ... عذب المر عنده في عذابه
واستهان الحرمان غير مبال ... وجراح الزمان ملء اهابه
قام يرنو والنار مد وجزر ... تترامى كالسيل دون شعابه
مخرت كالعباب تضربه الريح ... فيطفى معربدا في رحابه
واستدارت امواجها وترامت ... أكرا للحمام تفري بنابه
حيث ماجت تواكب الرعب يجري ... في شظايا حرابها من حرابه

أودع النار ما جلته يداه ... من جليل جناه من أوصابه
أكر للدقيق عالجها الصنع ... فسالت كالنور في تسكابه
واستدارت كالشمس عند مغيب ... حين أرخى الظلام من جلبابه
رق شطر الرغيف حتى تجلى ... كالشعاع النحيل دون حجابه
أو كهمس النسيم في غلس الليل ... نحولا في سقمه وسغابه
أو كغرب الحسام عولج بالصقل ... طويلا فرق غرب ذبابه
ما اضطراب الحسام يعزى لداء ... يقطع السيف حده في اضطرابه

ما تناءى الخباز يجهد حتى ... سله الجهد من وثاق ثيابه
من رآه عريان خال حساما ... سل عمدا في حادث من قرابه
وتراه على الخصاصة يعطي ... ما يد الشح أطبقت في اجتذابه
غاية البذل ان نجود على الفقر ... اذا ضن موسر في وطابه
ينبل المرء بالسخاء ويسمو ... ويبذ الفحول من أصحابه

ما لذاك الخباز تلفحه النار ... فيغضي على الاذى رغم ما به
لا يني يلقم اللظى بيمين ... أرعشتها وساوس من شبابه
رغف تشبه اللجين جلاها ... بائس بالدموع من أهدابه
نضجت بالعذاب حتى استقامت ... وسقاها الحرمان من أكوابه

دمشق

عدنان مردم بك



جورج صيدح

الشاعر جورج صيدح

بمناسبة صدور الجزء الاول من ديوانه

بقلم عجاج نويهض

* * *

لاني ، والحمد لله عربي .

ولاني عشت في فلسطين منذ ١٩٢٠ الى يوم الانهيار ، وقد شهدت هذا اليوم الكافر وسجلته .

ولاني عشت في الاردن بعد ذلك الى ١٩٥٩ ، ولاني في ايام فلسطين كنت مختلطا بتبر تربتها اشتم رائحة الراقدين فيها من « الصحابة » واتبرك بمثاويهم ، ناشقا هواءها ، شاربا ماءها ، متنقلا في سهلها وجبلها ، لائذا « باقصاها » و « وقيامتها » مقيما في « بيت مقدسها » ، مكثر الزورات الطويلة لشمالها وجنوبها ، مصاحبا بغبطة وأمل ، قافلة اهل الحل والعقد من رجالها ، حاضرا مؤتمراتها ، ماشيا في مظاهراتها ، قارئا صحفها ، متكلما في انديتها ومعاهدها وجمعياتها ، ناظرا كل الوقت الى البريطان واليهود ماذا يفعلون فيها ، وماذا يبيتون لها ، واستطيع ان افهم كما يستطيع غيري ان يفهم مصيرها .

ولاني أجد نفسي في اوائل ١٩٧٣ وقد انطوى جيل ونشأ جيل .

ولاني ارى كما يرى غيري دواليب التاريخ تتغير ، ودواليب العرب تتغير .

والآن ، لاننا جميعا ، قد وصلنا الى دور نرى فيه مشهدا كأنه في التصور اول يوم القيامة ، تزيغ فيه الابصار ونحن بين صراطين ، نرى اشراقا وافولا ، و « بترولا » و « حلولا » ، جنة وجهنما ، ولهذا كله .

غدوت انظر الى الشعر العربي نظرا حادا بعد ١٩٤٨ ونظرا احد بعد ١٩٦٧ ناشدا فيه تلك الروح التي تحرك العربي الجديد الى وثبة الانتقام الاكبر ، ومقلبا الصفحات وانا في مجاعة الى « اغنية » الام العربية الجديدة وبين يديها وعلى ثدييها الشحيحين ، طفلها الرضيع ، فرت به ونجت من المذبحة يوم « دير ياسين » و « ناصر الدين » و « قبية » و « نحالين » و « كفرقاسم » وغير مذابح لها جداولها وسجلاتها ، « الاغنية » التي تريد الام الناجية من بحيرة الدم ان تغنيها لولدها الصغير الذي ليس له سرير فينام على ذراعيها وهو يرضع الحليب وحب الانتقام . « والله عزيز ذو انتقام » .

« صيدح » الشاعر ، ان لم تجد هذه « الاغنية » في شعره الوطني القومي مسبوكة محتشدة في صفحة واحدة من قصائده التي قالها بعد ١٩٤٨ فانك واجدها تلفح لفحا شاويا في مجرى شعره ، وتتدفق تدفقا من شرايين الكلمات ، وكأني « بصيدح » قد وزع هذه الاغنية في مجاميع انفاسه ، وآثر ان تكون شريكته في كل حسه ، في فكره ولبه ، ونبض قلبه ، فاذا سأله ربه يوم الحساب : ماذا قدمت يا صيدح الى الام العربية بعد المذابح ، قدم صيدح هذه الروح السارية في شعره القومي الى ربه . فجاز صيدح الصراط الى النعيم المقيم .

وانما من هذا الرتاج ادخل اليوم الى هيكل « صيدح » ، لاقدم الى هذا الجبار تحيتي وشكري ، ولست ادعي اني وحيد ، وحدي في هذا الهيكل . بل انك اذا جمعت رواده وقصاده الآتين من كل صوب ، ومن مختلف آفاق الضاد ، كانوا امة كبيرة .

وليعذرني امراء الشعر العربي في هذا العصر على ذكري « اغنية الانتقام » . فاني ما برحت ارى هؤلاء الصهاينة واعرفهم منذ خمسين سنة وثلاث سنين ، معرفة راهنة واسعة عن كثب في فلسطين الغالية ، ومعرفة اقدم وهو مما وجدته عنهم في التاريخ المنزه عن

الريب ، هذا فضلا عما وصفهم به الله تعالى من القول المنزل في كتابه العزيز ، فهم هم لم يتغيروا ذرة ، ولن يتغيروا . ولا يغيرهم الا مثل ما جرى لهم بعد موقعة « الخندق » ، فهذا القرضاب لتلك الرقاب . وعلينا ان نعلم انهم لم يزالوا في دور التجربة لاقامة كيان لهم في فلسطين ، والسباق وان كان مرا فلم يزل بيننا وبينهم في ادواره الاولى . قلت : وليعذرني شعراء الامة العربية في النصف الثاني من هذا القرن الشديد ، فقد قدمت هذا لاقول بعده ، ان اليهود في محاولاتهم الوقوف والتجمع والاحتشاد في فلسطين ، مما يسمى بالحركة الصهيونية ، قد تأثروا كثيرا ، كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، اطفالا وعمالا ، بصرخات شاعرهم الحديث ، وهو عندهم الاكبر ، « حاييم نخمان بياليك » . ونحن لا ننكر ان لكل حركة تجمع في العالم ، شاعرا يقول ويدعو ويحرك ، ولكن الفرق بين واحد وآخر من هؤلاء في العصور كلها ، ان جميع شعراء الدنيا الذين دعوا الى تجمع ، انما دعوا الى حق على الغالب ، الا هذا شاعر اليهود « بياليك » فالى الباطل كل الباطل دعوته وشعره ، و « ان الباطل كان زهوقا » .

ولما كتب ويزمن مذكراته ، اشاد بذكر بياليك اشادة بارزة في غير موضع ، ويظهر مما قاله ويزمن ان الحركة الصهيونية كانت تنام على انغام بياليك (١) .

واعني « باغنية الانتقام » اغنية انتقام بعينها ، والشعر العربي جملة بعد ١٩٤٨ . فان رجال مواهب الشعر عندنا ، في القاصية والدانية من العالم العربي ، اذا لم يشحذوا هذه المواهب شحذا مقدسا في سبيل فلسطين وايقاظ العرب اجمعين ، فاي نفع من هذه المواهب ونحن على سباق مع اسرائيل يعد علينا باليوم والشهر ، لا بالسنة والسنين . وصيدح اوسع شاعر عربي في « اغنية الانتقام » وبث روحها . وهو بركان قذاف الحمم ، ولا يكتفي بان يسمع وهو فائر وصعقاته تضم الآذان بل يطبع نفثاته كراريس ويوزعها على العرب، فضلا عن نشرها في الصحف . غيره يقول ثم يستريح ، اما صيدح ففارة مستمرة ، ولا يأبه لاي زوبعة او ريح . هو على هذا المنوال منذ ١٩٤٨ .

و « صيدح » هو اكثر من « صيدحنا » الشاعر « المبركن » للشعر القومي . هو مؤرخ ادب المهجر في كتابه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » (٢) . وقد صدر منه الى ١٩٦٤ ثلاث طبعات وكل طبعة ازخر من سابقتها فوائد ومعلومات والكتاب ، في ٧٤٢ صفحة ، ومقدمة الطبعة الثالثة نادرة الطراز ، فانها محشوة بالمعاني المنخولة حشوا ، وتعطي من المعلومات ما لا تجد مثله الا عند صيدح ، اذ هو طالت خبرته في ديار الهجرة وساح في الاماركتين ، وهو عاش في عالمين ، عالم تجارة وعالم شعر ، ثم انقطع عن الاول وسبح في البحور وبقي خواض غمرات ، وكيفما حسبته فهو الفارس المعلم . وكتابان ظهرا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهما في تاريخ ادب المهجر وتاريخ الاسهامات العربية الحضارية المتنوعة في المهاجر ، ليس بعدهما غاية : كتاب صيدح الذي ذكرناه ، وكتاب « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية » لفقيد الرحلة والتنقيب والادب والتأليف « البدوي الملثم » ، المطيب الثرى ، وكتابه ضخم اي ضخم في جزءين كبيرين مجموع صفحاتهما ٨١٧ صفحة .

و « صيدح » ، وهو نقطة الدائرة في هذه الكلمة ، لا يمكن ان يرد في شعره الى اقليم عربي ، وان كانت دمشق اعطته المولد والمنشأ ، وكان والده رحمه الله احد القضاة الكبار فيها . « صيدح » ، حفظه الله ، خلقه الله صداحا مؤمما ، ووترا مرنانا ، والبسه بردا موشيا منمنما ، واطلقه الى العرب اجمعين ، وانقسمت حياته الى ادوار او مراحل ، فحارب الدهر ، والدهر حاربه ، ولكنه لم يخرج من الميدان الا منصورا ، واحب الغار فضفر على راسه اكليلا . وهو في كل ادواره ، في جلق ولبنان ومصر والمهجر ، جيئة وذهابا ، وطلوعا ونزولا ، هو كهف اخوانه وصحبه وخلانه ، بذال للخير ، زراع للمروءات وافر السماحات ، من احفظ حافظي العهود . بدأنا صحبتنا في بيروت بعد عودتي الى لبنان ، منذ ١٩٦٠ ، فازدادت بروتي به ، ورقص صدري له ، ثم انتقل الى باريس ، وكان البريد بيننا ولم يزل يروح ويجيء كل هذه المدة ، فعلا في نظري وقلبي الى مرتبة « قديس » .

اقف عند هذا الحد في هذه الكلمة . اما الكلام على هذا الجزء الاول من ديوانه ، فيكون في النوبة التالية ، شاكرا للاخ الاديب الكبير الاستاذ « اديب » فضله في ما سمح لي في « الاديب » من مجال ومن به من سعة، داعيا « لبريد العرب » باتساع الانتشار في مختلف الامصار ، ولقلم صاحبه المدرار الا يغيب عن امة الضاد في ليل او نهار .

رأس المتن — لبنان　　　　　　عجاج نويهض

---

١ — بعبارة اخرى ، ان بياليك من الحركة الصهيونية بشعره ، يوازي « بن يهودا » واضع معجم العبرية الحديث بمعجمه ، وضعه في القدس في نهاية القرن الماضي ، وكان يختلف الى الاحياء العربية ويلتقط التعابير العربية والكلمات ذات الجذور القديمة ليدرسها ويستفيد منها . اما بياليك فقد كان يحضر المؤتمرات الصهيونية ويرافق ويزمن اليها ، وله الصدارة والتقدم ، ويضعه ويزمن مضاهيا في المقام لالبرت انشتين ولورد ملشت (صار السر الفرد موند بعدئذ) من اكبر الصناعيين اليهود في بريطانيا . وكان بياليك يلقي قصائده هو بنفسه في المؤتمرات والمواسم الدينية . والى الان كما نعلم لم يظهر في الصهيونية بياليك آخر من وزنه .

٢ — لا ادري لماذا حكومتنا في لبنان اختارت ان تقول « وزارة الخارجية والمغتربين » بدلا من « والمهاجرين » وان تقول « المغتربات » بدلا من « المهاجر » والعالم العربي صار له ثلاثة ارباع القرن يقول : والمهاجر والمهجر . « والمغتربات » ليست كلمة خالية من نبل المعنى ، ولكن « المهاجر » انبل ، وارفع في العين . والكلام يختلف بعضه عن بعض اختلاف الرجال .



هـلال ناجـي

الشعراء ونقادهم

بقلم هلال ناجي

قديمة هي الخصومة بين الشعراء ونقادهم ومجهولة البداية كالشعر تماما . ولعل واحدة من اقدم الصور التي اوضحت ضيق الشاعر بالناقد ، موقف امرىء القيس من امراته (أم جندب) حين احتكم اليها هو وعلقمه الفحل فقالت : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة ، فقال امرؤ القيس :

خليلي مرا بي على أم جندب ... لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ... ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم انشداها جميعا ، فقالت لامرىء القيس علقمة اشعر منك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : لانك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درة ... وللزجر منه وقع اخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك ، وقال علقمة :

فادركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب

فادرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ولا زجره ، قال : ما هو باشعر مني ولكنك له وامق ! فطلقها فخلف عليها علقمة ، فسمي بذلك « الفحل » .

وهكذا كان الطلاق وخراب البيت مصير الناقدة التي جهرت برأيها . سواء كان هذا الخبر اسطورة أم حقيقة وسواء كان له جذر من واقع أم تزيد فيه الرواة فالامر سيان، ما دام ضيق الشعراء بالنقاد حقيقة ثابتة.

وتطل صورة اخرى من صور هذه الخصومة العريقة حين يحتكم الى ليلى الاخيلية شعراء هوازن النابغة الجعدي وحميد بن ثور الهلالي وتميم بن ابي بن مقبل العجلاني والعجير السلولي ففضلت الاخير وقالت :

الاكل ما قال الرواة وذببوا ... به غير ما قال السلولي بهرج

فلما نمى الخبر عنها قال النابغة الجعدي يهجوها :

كانك ليلى بغلة تدمرية ... رأت حصنا فعارضتهن تشحج

ثم هجاها في لامية شهيرة ، فردت عليه وتعمقت واستأصلت بينهما العداوة ، كل ذلك بسبب جهرها برأيها النقدي .

كانت آراء النقاد في الجاهلية وصدر الاسلام تقوم في اغلب الاحوال على مقاييس ذوقية . وحين وضعت علوم العربية وفي مقدمتها النحو صار النحاة يحاسبون الشعراء على غلطاتهم محكمين المقاييس النحوية ، فعرضوا انفسهم لهجوم قاس من الشعراء المنقودين .

ذكرو ان (سيبويه) امام النحو عاب على بشار من برد قوله :

فالآن أقصر عن سمية باطلي ... وأشار بالوجلى علي مشير

وقوله :

على الغزلي مني السلام فربما ... لهوت بها في ظل مرؤومة زهر

قائلا : لم يسمع من الوجل والغزل فعلى

فبلغ ذلك بشارا فقال يهجوه :

أسبويه يابن الفارسية ما الذي ... تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ

أظلت تغني سادرا في مساءتي ... وامك بالمصرين تعطي وتأخذ

قالوا : فتوقاه سيبويه بعد ذلك ، وكان اذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشره .

فاذا كان سيبويه امام النحاة في كل عصر ومصر ، يفعل هذا فما بالك بسواه .

ووجد عبد الصمد بن المعذل من شيء انكره النحوي الشهير ابو عثمان المازني في شعره فهجاه وافحش وقال من ارجوزة طويلة مصورا أم المازني :

انك ان ذقت حمدت المضغه
فقلت ما هاجك ؟ قالت دغدغه
فقلت من انت ؟ فقالت لي دغه
وابني ابو عثمان ذو علم اللغه
فاطو حديثي دونه ان يبلغه
هممت اعلو رأسها فادمغه

فبلغ ذلك أبا عثمان فقال : قولوا للجاهل : بم نصبت (فادمغه) لو لزمت مجالسة اهل العلم كان اعود عليك .

وعرض المفضل بن سلمه لشعر ابن الرومي فهجاه الاخير قائلا :

لو تلففت في كساء الكسائي ... وتلبست فروة الفراء

وتخللت بالخليل واضحى ... سيبويه لديك رهن سباء

وتكونت من سواد ابي الاسود ... شخصا يكنى ابا السوداء

لابى الله ان يعدك اهل العلم الا ... في جملة الاغبياء

واستعرت نار الخصومة بين اسحق الموصلي والاصمعي كان السبب ان اسحاقا قال :

يا سرحة الماء قد سدت موارده ... اما اليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام له ... محلا عن طريق الماء مطرود

فعلق الاصمعي ناقدا البيت الثاني :

(لو اجتمعت هذه الحاآت في آية الكرسي لعابتها)

فاثارت هذه الكلمة النقدية الصادقة ثائرة اسحاق وهكذا قرأنا له قوله مخاطبا الفضل بن الربيع مادحا ابا عبيدة وذاما الاصمعي :

عليك ابا عبيدة فاصطنعه   فان العلم عند ابي عبيده
وقدمه وآثره عليه   ودع عنك القريد ابن القريده

واستغل اسحق ، قصة مؤداها ان بصريا اسمه (عطاء الملك) كان قد جاء الى (قريب) والد الاصمعي (وكان نذلا في الرجال) فابصر به ملتفا بكسائه ، نائما في الشمس . فركله برجله وصاح به يا قريب ، قم ويلك ، فلما قام . قال له : هل لقيت احدا من اهل العلم قط ، او من اهل اللغة او من العرب أو من الفقهاء او من المحدثين ؟ قال : لا والله . فقال (عطاء الملك) لمن حضر هذا ابو الاصمعي فاشهدوا لي عليه . وعلى ما سمعتم منه، لا يقل لكم غدا او بعده : حدثني ابي او انشدني ابي.

قلت : استغل اسحق هذه القصة فقال هاجيا الاصمعي ـ عملاق العربية ـ :

أليس من العجائب أن قردا   أصيمع باهليا يستطيل
ويزعم انه قد كان يفتي   ابا عمرو ويسأله الخليل
اذا ما قال (قال ابي) عجبنا   لما ياتي به ولما يقول
وما ان كان يدري ما دبير   ابوه وان سألت وما قبيل
وجلله (عطاء الملك) عارا   تزول الراسيات ولا يزول
نصحت ابا ربيعة فيه جهدي   وبعض النصح احيانا ثقيل
فقل لابي ربيعة اذ عصاني   وجار به عن القصد السبيل
لقد ضاعت برودك فاحتسبها   وضاع الفص والسيف الصقيل
وسرج كان للبرذون زينا   له في اثره جزعا صهيل
واما الخمسة الآلاف فاعلم   بانك غبنها لا تستقيل
وان قضاءها فتعز عنها   سيأتي دونه زمن طويل

ولم يسلم ابو عبيدة معمر بن المثنى أحد كبار اللغويين والرواة في عصره من هجاء ابي نؤاس حين تعرض لبعض شعره : اذ قال :

(. . . . .)   ابا عبيدة قل بالله : آمينا
فانت عندي بلا شك بقيتهم   منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

في كل عصور الادب العربي القديمة ابتداء من الجاهلي وانتهاء بالعباسي تعكرت العلائق بين الناقد والشاعر ما يكاد الاول يعرض بالنقد لبعض ما وقع فيه الشاعر من هنات او غلطات او يثبت عليه بعض المؤاخذات . حتى تقوم قيامة الشاعر فينهال بسياط شعره يجلد الناقد بل ويسلخ جلده وعرضه .

والسؤال هل تغيرت الصورة في عصرنا الحاضر ؟

وهل استطاع الشاعر التخلص من حساسيته المفرطة نحو النقاد والنظر الى النقد بمنظار عصري يرى في عمل الناقد عمل المثمن والمقيم والموجه والمقوم ؟ وهل استطاع النقد ان يكون موضوعيا لا شخصيا ؟... وهل استطاع العصر ان يطفىء نار الاحقاد المتأججة بين النقاد والشعراء وان يقيم سلاما بين الطرفين وودا وتفاهما متقابلين ؟؟

هذا ما اشك فيه . فبالرغم من زعم كثير من شعراء العصر تقديرهم رسالة النقد . فأنهم ما زالوا لا يسيغون لناقد قولة . فالشاعر المجدد الاستاذ احمد الصافي النجفي يصف النقاد بانهم لئام ويرسم لهم صورة ساخرة ، فهم دابة امتطاها في طريقه الى المجد يخزها حين تبطىء في سيرها فتهرول مسرعة من حقدها . ضاجة وهو يضحك هازئا ... الخ قال :

ساشكر نقادي اللئام لانني   ركبت عليهم في طريقي الى المجد
فان قصروا في السير يوما وخزتهم   فثاروا وساروا مسرعين من الحقد
يضجون من حقد واضحك هازئا   بهم وهم يجرون بي دونما قصد
ولو عقلوا يوما رموني الى الثرى   ومن اين تأتي للسوائم بالرشد
ومن يعل شخصا ، قاده كمطية   وخير المطايا مازج اللؤم بالنقد

ويمر عبد الوهاب البياتي بالتجربة ذاتها فينهال على النقاد بسبابه :

سانفخ الرماد في عيونكم
وادلق .... على جباه كباركم
يا ايها السادة
يا اشباه ...
الشعر لا تطاله أوامر النقاد ، الشاعر في رؤياه يقودكم . سأمان من انوفكم
عبر التعاسات
ولا يقاد كالحصان في سراه
فلتخفضوا يا سادتي الجباه

في حياتي الشعرية تجربتان الاولى : وليدة الاقامة الطويلة بمصر العربية تعرفت خلالها الى اقطاب النقد فيها : السحرتي ، طبانة ، مندور ، الحوفي ، خفاجة ، غنيمي هلال ، سهير القلماوي ، القط ، احمد كمال زكي وسواهم تلمست من خلال نقدهم الموضوعي العلمي ، عمق الرسالة التي ينهض بها النقد الادبي في عصرنا الحاضر . من خلال هذا الوعي قلت :

معاشر النقاد يا مرحبا   انرتمو الطريق للركب
ينهل شعري من دمي كلما   اعوزه المداد في الدرب
جبلت هذا الشعر من خافقي   من شامخ يهزأ بالصلب
يسخر بالطاعون في مجده   لانه يؤمن بالشعب
معاشر النقاد يا انجما   وقادة تضيء كالشهب
لن يبلغ الذروة مستنسر   يحسب ان النقد كالسب
ما زال هذا القلب رغم الشجى   يؤمن بالنقد وبالحب

والتجربة الثانية : انني قرأت مقالين لدعي نقد ، نقد فيهما ديوانا لي في صحيفة صفراء . كانت اللاموضوعية هي السمة الاساسية في هذا النقد . واحس الناقد بجريرته فصار يبصبص بذنبه ويلتمس المعاذير فكتبت عنه وعن نقده مجموعة شعرية كاملة سميتها «هذا جني زرعك يا سامري» ، ازال نشرها وجوده الادبي.

هل ان هاتين التجربتين متضادتان ؟؟

لا احسب ذلك، لان الاولى في تقييم النقد الموضوعي العلمي الهادف والثانية في شجب النقد اللاموضوعي اللاعلمي وشتان ما هما .

الاعظمية ـ بغداد   **هلال ناجي**

الشاعر وصفي قرنفلي

القيت في حفل تأبين الفقيد الكبير الذي اقيم في قاعة المركز الثقافي العربي بحمص

عبد الرحيم الحصني

●

سماء مجدك ، لا ترقى لها السير ... عذرا ، فديتك ، غامت عندي الصور
لم يبق لي من رحاب الشعر متسع ... آوي اليه ، اذا ما اهتاجت الذكر
بيني وبينك عهد الاوفياء ، ومن ... مثلي بمثلك يدمي جفنه السهر
ودعت يوم رحلت السعد وانطفات ... عندي الشموع، وجف اللحن والوتر
وبت فيك كما أمسى أخ بأخ ... تباعدا ، فاستبد الهم والكدر
أبكي وأبكي . فلا الايام دافعة ... ما نحت منه ، ولا السلوان مقتدر
يا للمقادير . ما أبقت على حلم ... من الحياة أناجيه ، وانتظر
والذكريات اللواتي كن لي متعا ... لم يبق حولي من آثارها أثر
في كل منتجع للهم مرتبع ... وكل مرتقب للحزن منتشر
حتى اذا ما ابتغيت الشعر عاندني ... وكان اذ كنت اشدو يسكر الحجر
طويت خمسا وراء الاربعين ولم ... أظفر بما الناس في ايامهم ظفروا
كأنما البؤس معقود بناحيتي ... على الزمان ومرهون بي الضجر

قنعت بالصحب واستبعدت ما عبدت ... نفوس غيري لغيري، فانبرى القدر
وراح يسلبني في كل آونة ... خلا ، ويحرمني ما بت افتقر

(وصفي)، واين العشيات التي سلفت ... أبعد تلك الاماني يؤلف العمر
ان كان للناس حظ ينعمون به ... فانت وحدك عندي الخط والوطر
أخا الملايين من شاك ومضطهد ... كيف انثنيت وشمل العرب منتشر
ألم تكن صوتهم في كل معترك ... ألم تكن رأيهم والجو معتكر
ما بعت شعرك في سوق النفاق . ولا ... ساومت . اذ ساوم الجهال واتجروا
صاغوا القصيد ابتغاء المال في نفر ... ليسوا من الناس في شيء اذا ذكروا
ليت الذين دعوهم بالكبار رأوا ... كيف الكبار على اعتابهم صفروا

(سرابك) العذب هام الظامئون به ... فيمموه ، ولما مسهم سكروا
وأنت فوق ذرى الآلام مؤتلق ... ومشعل النصر في يمناك يستعر
تقول للشعر حسبي انني تعب ... مرتلا حلو ما يتلى ويبتكر
فاستيقظت حولك الآمال وازدحمت ... تمتاح من كرمك الداني وتعتصر

يا مضني العيس، ماضلت خطاك، وان ... شط المزار ، وادمى رحلك السفر
حسب الصحارى وان جن الهجير بها ... في ان يرجى على بيدائها المطر
قم واصفع الرمس ان الركب منتظر ... لا تغمض الجفن ان السيل منهمر

ما زال للشر أنياب يعض بها   لحم الاباة ، ولما ينجل السحر
هذي بطاح الكرام الصيد ما برحت   على ملاعبها الامجاد تحتضر
والمترفون غفاة في متارفهم ..   لاهون بالمال ، لا سمع ولا بصر
اذا دعاهم لحرب واجب خمدوا   وان دعاهم لكسب واهب زأروا
قالوا عن الثأر ما قالوا وحين دعا   داعي الكرامة ، لا ثاروا ولا ثأروا
والشعب ما بين وعد كاذب وغد   مؤجل ، كاد رغم الصبر ينفجر
يا خجلة المجد والتاريخ من زمن   هانت به القيم الشماء والعبر

مهلا ، رفيق البيان السمح ان على   كواهل الشعر حقا ليس ينحصر
ان لم نكن نحن مرآة الشعوب فمن   يهدى اذا لاح في اندائها الخطر
اذا البيان خبا في أمة رزقت   أهل البيان ، فلا مجد ولا ظفر

أهبت بالشعر أن يرقى فحملني   من المتاعب ما لا يحمل البشر
ولي فؤاد كأن الله أبدعه   من صفوة النور يدمي حين يذكر
أين التليد من الاسلاف أذكره   وأين ما تركت من بعدها (مضر)
وأين رايات (حطين) ومن رفعوا   لما الى الذود عن أمجادهم نفروا
أكاد أنكر في قومي عروبتهم   مهما أدلوا ، ومهما بالدم افتخروا
دم العروبة لم يهدأ لمغتصب   فما لقومي عن ثاراتهم قصروا
كفرت بالحلم ان لم ينقلب شررا   في الحادثات اذا ما أخمد الشرر

يا ساكب الشعر من مكنون مهجته   عدت على الشعر في أيامنا الغير
اذا انتخى نفر للذود عنه بدا   يسعى ويمعن في تهديمه نفر
من كل مستأجر باغ يكاد على   جبينه ينطق البهتان والاشر
يا حسرة العرب، حتى الشعر ماسلمت   على موائدهم أطرافه الغرر
ولوا على الضاد غلمانا وما علموا   أي الاواصر من أمجادهم بتروا

أخا القصيد لئن أسهبت في شجني   فكل ما قلت من شكواي مختصر
في القلب ألف لهيب أنت تعرفه   لكن غيرك لا يروى له الخبر
جن الزمان، وشاخ الدهر . وانهتكت   ستائر الحق . واستشرى بنا الخور

أخا القصيد حملت الداء مرتضيا   وقلت للخوف هذا دربك الوعر
فأعصف بما شئت اني فوقما حملت   من كبرياء السماء الانجم الزهر
وما اتسدت لحمل الداء من وهن   ان الاباة اذا ما استهدفوا صبروا
لكنما الوحي هد الجسم فارتجفت   يمناك وانساب في أعصابك الحذر
اذا الاباء سما في النفس أثقلها   وراح دون مناها الجسم ينحدر

أخا القصيد . كلانا متعب فاذا   رحلت قبلي ، فحظي العاثر الكدر
أنا وأنت تعايشنا . ضنى ومنى   واليوم أوحدتني والقلب منفطر
لي الشقاء ، وللعين البكاء وللشعر الرثاء . وللانشودة العبر
في ذمة الخلد والتاريخ ما عبرت   بطيب انسامك الاعوام والعصر

حمص   عبد الرحيم الحصني

قصة

رحلة الى العالم القديم

بقلم المهندس حسني سيد لبيب

بعد عشرين عاما ، تبدأ رحلته الى **المكان الذي شهد مولده** . يشده الحنين الجارف الى لقاء أناس باعدت بينه وبينهم السنون برغم صغر المسافة التي تفصله عنهم . وبرغم سهولة العبور والاتصال عبر كوبري أبي العلاء ، الا ان نفسه تباعدت تماما ، وكاد ينسى الصرخات الاولى التي ترددت في ازقة بولاق .

تخطى الثلاثين عاما ، تذكر هذا وهو ذاهب الى المكان الذي فارقه صبيا يناهز الثالثة عشرة من عمره . يختزن في ذاكرته أشياء كثيرة عن ايام الطفولة ، تمتثل في خاطره الآن ، وكان الوقت لا يمهله طيلة العشرين عاما كي يسترجع ذكرياتها . والآن ، حانت الفرصة ، وكانت الرحلة مثيرة ، فكيف يرى بولاق الآن ؟ . وكيف حال اهلها ؟ . هل تغيرت دنياهم ؟ . وقفز الى ذهنه سؤال ملح : هل يذكره احد بعد قطيعة العشرين عاما ؟! .

مشى في الشارع الرئيسي مزهوا مختالا ، وهندامه الانيق يلفت انظار النسوة اللاتي التففن بالملاءات السود ، كأنه سائح . وبرغم رضاء نفسه وارتياحه ، الا ان حنينا جارفا يشده الى معايشة هؤلاء الفقراء . انه ما يزال ابن هذا العالم ، من ترابه وعرقه . وتلون الحنين بلون الحياة ، واستصرخ في اعماقه الشوق الدفين الى هذا القديم ، كمهاجر يعود الى بلده بعد عشرين عاما من الغربة . **فهل تغير شيء ؟** .

انها رحلة مشوقة . قد تبدل حاله ، وتبدد الملل الذي يؤرقه ، وترحمه من الكآبة الخرساء التي تشبعت بها نفسه .

تخطى الثلاثين عاما ولم يزل أعزب ، يقف في مفترق الطرق . وقد علمته السهرات الليلية الا يثق ببنات حواء . مما جعله يتردد كلما اقدم على زواج ، فيرفض ويتمرد ، ثم يواصل لهوه ومجونه . لكن الحياة لا يدوم لها حال ، وانما تتبدل وتتغير ، وقد احس بذلك حين مات أبوه منذ شهور ، فصدم ، وحين أفاق احس بأن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة ، وان موت أبيه لنذير ينبه ويحذر . وأهاجت أمه الذكريات عن ابيه الراحل ، وعن طفولته المعدمة ، ثم كفاحه في التجارة ، وحقق ارباحا خيالية من تجارة الحديد ، فتبدل الحال من العدم الى الغنى ثم الثراء الفاحش . واثارته بذكريات الطفولة ، وكان يعي بعض تفاصيلها .

تتفحصه العيون ، تمعن النظر في هندامه ، في قوامه ، في خطواته . تجاوز العيون ، وان كانت سياجا وهيبة تضيق الخناق من حوله . تملى النظر في البيوت القديمة ، وصعد عينيه الى لافتات المحال والشوارع ، ويرجع بذاكرته الى الوراء ، عساه يذكر ما كان منذ عشرين عاما ، وما استحدث من تغيير في معالم الحي العتيق . انعطف الى شارع جانبي ، صادفته مدرسة ابتدائية قديمة ، وتذكر الاحرف الاولى التي تعلمها هنا . ود لو يدخل ويلتقي بالناظر والمدرسين ، لكن نظرات البواب الجالس على دكة خشبية تزجره في قسوة ، لا احد يعرفه هنا .

جذبت انتباهه فتاة جميلة ، ممشوقة القوام ، عيناها سوداوان واسعتان ، احس ببريق الامل يشع منهما ، احساس غريب يؤكد له ان الفتاة تعرفه وانه يعرفها ! . لم يلتق بها من قبل ، لكنه تعلق بها تعلق الرضيع بثدي أمه . وحين أطال التحديق فيها ، أجفلت في دلال ، ثم أسرعت الخطى ، وتجاوزته اهمالا . يا له من عالم رائع ! . الدنيا هنا جميلة . الدنيا هنا كالارض البكر . راعه ما يرى ، وندم على عدم مخالطته هؤلاء الناس ، وعدم مشاركتهم تلك الحياة المتواضعة .

مر بمسجد ، فتذكر ليالي رمضان ، والتقاء الصبية عند عتبة الجامع قرب المغرب في انتظار مدفع الافطار ، ثم تجمعهم في المساء بفوانيسهم الملونة . يا لها من ايام حلوة ! . وصاحب هذا المحل رجل مسن ، كان ذلك منذ عشرين عاما ، واليوم تغيرت لافتة المحل ، وطفت انوار النيون الزاهية على قدم المبنى ، فبدا شيئا جديدا ، الا ان آثار الماضي تتراقص امام عينيه وتعود به الى أيام الطفولة الدافئة .

لماذا أتيت الى هنا ؟ . الكل لا يعرفك . اقدامك تثقل الارض بخطاك الغريب . الناس هنا يتجاهلونك ، يرفعون راية العصيان ، فأنت انسلخت عن هذه البيئة وصرت نسيجا آخر ترابطت خيوطه في مجتمع غير هذا المجتمع ، فلماذا أتيت ؟ . هل الشيخ جعفر هو السبب ؟ . ام هو الحنين الى الصبا وذكرياته الصغيرة التافهة ؟ . أم هو الهروب من الملل والكآبة التي تعاني منهما أشد المعاناة ، وصارت الحياة تتلون بلون غريب لا تكاد تميزه ، لا تكاد تتعرف عليه ، بلون

القلق المجهول الـذي بـات يلازم خطواتك اينما سرت .

وايا كان الباعث القوي الذي أتى بك الى هذا الحي العتيـق ، فأنت هنا تتلفت حواليك باحثا عـن يـد تمتد اليك ، تصافحك .. فـماذا العيون تلتقي بك وتتجاوزك ، انـك جسم غريب يرفض هـذا المجتمع المترابط ان تنتمي اليه وتندمج فيه. انك غريب ، برغم شهادة الميلاد ، وخطاك على اديم هذه الارض خطـى غريب !. حتى الشيخ جعفـر أنت لا تعرفه ، فقط تعرف اسم الزقاق الذي يقطن فيه !.ما اسم الزقاق؟. سريعا نسيت !. الورقة القابعة في جيبك تحمل اسم الزقاق .

عبثت اصابعه في جيب السروال، فعثر على همزة الوصل بينـه وبين أهل هذا الحي ، عثر على الورقة . وعليه الآن ان يبحث عـن « زقاق المتوكل » . ظل يمر ذاكرته عـلى حفظ اسم الزقاق ، وكأنه عثر على مفتاح يفتح به أبواب الحي القديم ، ويتعرف على آهليه . لمـح رجلا بدينا ، فاستوقفه ، وسألـه عـن الزقاق . قال الرجل دهشا :

ـ ايوجد زقاق بهذا الاسم ؟.

اخرج الورقة ، الوثيقـة التـي تؤكد قوله . أحس بأنه انتصر عـلى هذا الرجل البدين ، فهـو يقصد زقاقا لا يعرفه . حملق البديـن في الورقة المبسوطة ، ثم اخذها منـه متفحصا اياها ، ثم ردها اليه ..

ـ انا آسف .. أصلـي مـن المهاجرين . لا اعرف سوى غرفـة يتيمة في هذا الشارع .

لم يدم لقاؤه بالرجل طويـلا ، وكان يود ذلك ، اكتشف ان بالحي سكانا غرباء. لماذا اذن يشعر بغربته في المكان الذي ولد فيه وامضى فيه سني الصبـا المملـوءة بالتساؤل والفضول ؟.

واصل السير آمـلا ان يصادفه الزقاق دون سـؤال ، او ربمـا يصادفه الشيخ جعفـر ، ولقـاء الصدفة يفضل ألف موعد . لكـن كيف يلتقي به مصادفة ؟. ها هـو رجل مقبل نحوه ، يتجلبب بجلباب أبيض واسع ، معمم الرأس ، تزين يده مسبحة كهرمانية . ربما يكـون « هو » .. سأله :

ـ الا تعرف الشيخ جعفر ؟.

توقف الرجـل ، وكف عـن التسبيح ، ونظـر اليه في صمت ، وبدا كأن الرجل تسمـر في مكانه . واحس رأفت أنه اخطأ القصد ، او ربما حدث الشيخ بطريقة اغضبته ، وهم ان يعتذر ، ثم الفى نفسه يهم بالاعتذار عن خطأ لا يدريه !. شيء



حسني سيـد لبيب

في اعماقه يغريـه بالصمت ، فهـذا افضل . وصمت الرجـل كذلك . واستنجد رأفت بالله كي ينقذ هـذا الشيخ وينطقه بضع كلمات . أيكون الشيخ أخرس ؟. ربما ... واقنع نفسه بذلك ، وارتاح لمنطقه .

ـ ماذا تريد ؟.

فجأة نطق الشيخ وخيب ظنه . ارتعد رأفت . نطـق الاخرس ، او ما كان يعتقد انه اخرس !. كـرر عليه السؤال :

ـ ألا تعرف الشيخ جعفر ؟.

ابتسم الشيخ . وظـل مبتسما فترة . وخيل اليه ان الشيخ سيظل طول عمره او ما تبقى منـه بهـذه الابتسامة العريضة . اطمأن رأفت وقال لنفسه : « يبدو انـه الشيخ جعفر. . ويبدو انه يبتسم للمصادفة العجيبة » .

ـ حسبتك تسألني عـن موعـد صلاة المغرب .. أما الشيخ جعفـر فلا اعرفه .

ثم سحب ابتسامته ، ومشى في طريقه تاركا رأفت في حيرته التـي زادت قلقا وغموضا .

كان يسمع من والديه كثيرا مـن الحكايات عن الشيخ جعفر ، وعرف انه رجل ميسور الحال ، نجـح في تجارته وصار مـن ذوي الاملاك ورؤوس الاموال الضخمة بعد حياة العدم والشقاء . وقد اقرض أبـاه خمسة آلاف جنيه منذ عامين ليسد الديون التي تراكمت عليـه بسبب خسائر فادحـة متتاليـة الحقت تجارته . وقد سدد أبوه هذا الدين الكبير ولم يتبق منـه سوى المائة جنيه القابعة في جيبـه الآن ، باحثة عن الشيخ جعفر . أوصى أبوه قبل الممات بسداد الديـن . وألحت الام على ابنها كي يسرع في السداد، حتى يستريح الاب في مثـواه الاخير . ويبدو ان راحـة الاب في الممات ، تستلزم شقاءه الآن في وسط هـذا الحي العتيق يجـوب دروبه تائها غريبا ، حتى كـاد يظن ان الشيخ جعفر اسطورة !.. وبينا تؤكد لـه الام انه معروف لـدى الجميع ، اذا به يعجز عن الاستدلال عليه .

ساقته قدماه الـى حارة ضيقة طويلة ، انه ولد هنا ، وعاش سني طفولته المليئة بالتساؤل والتطلـع والتعرف على حقائـق الاشياء . احس براحة وهـو يجول في هـذه الحارة ، أحس انـه يعانق قديمه ، وكأن الزمن يرجع بـه عشرين سنة

الى الوراء ، ليعيش لحظات صباه وطفولته ، انه يتمثلها الآن وكأن الذي يفصله عنها مجرد أيام قليلة . شيء في أعماقه يحدثه بأنه سيعثر على الشيخ جعفر هنا ، وحاول ان يؤكد لنفسه هذا الحدس .

لمح رجلا اعرج يخرج من البيت الذي ولد فيه ، واجهد ذاكرته حتى يتذكر متى رآه . أوه .. انه رآه منذ شهور ، وبالتحديد في مأتم والده . ولم يترك له الرجل فرصة للتفكير ، وانما اقبل نحوه متكئا على عصاه .

ـ كيف حالك يا استاذ رافت ؟.

ـ الحمد لله .. أتعرفني ؟.

ـ اعرفك جيدا .. ألست ابن الاستاذ احمد ؟.. الله يرحمه . اهلا وسهلا .. خطوة عزيزة .. تفضل ..

ـ اشكرك .. اني ابحث عن الشيخ جعفر ؟.

ـ طيب يا ابني تفضل استرح قليلا .

وكانت الاجابة مشجعة ، فلم يستنكر وجود شخص اسمه الشيخ جعفر . فتشجع ودخل البيت الذي قضى فيه ثلاثة عشر ربيعا . ها هو اليوم يصل يومه بتلك السنوات الخوالي ، ويتعانق مع ذكريات الصبا .

اصر الاعرج على القيام بالواجب . أصلح موقد الجاز الذي عانده وملأ الجو بأدخنة قاتلة ، وكثيرا ما كان يستشيط غضبا فترتفع السنة النار حتى يخيل اليك ان النيران امسكت بالرجل . لكن سرعان ما يعود الموقد الى هدوئه ، فيبتسم الاعرج محاولا من جديد ترويض موقده العنيد . ثم وضع الكوز على الموقد ، ثم اغدق على رافت بعبارات الترحيب والسلام . وكان رافت متلهفا على رؤية الشيخ جعفر ، ومصمما على انجاز مهمته . احس باختناق شديد ، للغرفة طاقة صغيرة مغلقة ، فنهض رافت وفتحها ، فهبت رائحة كريهة عافتها نفسه . ابتسم الاعرج قائلا :

ـ تطل الطاقة على ماسورة مجاري تصب متخلفات السكان ، من الافضل اغلاقها .

استشاط غضبا ، وحاول ان يهرب من هذا المكان العفن ، او يخنق الاعرج اذا شاء . انها حجرة مجهزة بأحدث وسائل الموت ، كالمقبرة هي ، فأين الحياة ؟. كيف يعيش الاعرج حياته ؟!.

يبتسم الاعرج ابتسامته المعهودة ، ويروي له كارثة رهيبة . فقد انهار المنزل المجاور بمن فيه من السكان ، ومات الجميع ما عدا الاعرج وفتاة ..

ـ ماتوا كلهم .. الا انا ، وفتاة صغيرة .

ـ الا انت ايها الاعرج ؟.

ولم يعلق الاعرج على تهكمه ، وانما ظل معلقا ابتسامته البلهاء على شفتيه ، واردف :

ـ الا انا .. وبترت ساقي بعد الحادث . وكلما تحسست موضع ساقي المبتورة ، اتذكر المأساة ، فأبكي . كثيرا ما الجأ الى البكاء في وحدتي ..

ـ هل تجد معنى للحياة ؟.

ـ الحياة !.. أين هي الحياة يا استاذ ؟. لقد فقدت حياتي كلها تحت الانقاض !. فقدت زوجتي واولادي .. فقدت كل شيء .. وفقدت ولي نعمتي الشيخ جعفر .

تذكر الشيخ جعفر بعد ان كاد ينساه ، وانتفض كمن لدغه ثعبان ، ونطق الاسم مبهورا :

ـ الشيخ جعفر .

ـ تصاعدت فقاعات داخل الكوز الاسود ، فأطفأ الاعرج الموقد ، فتنهد رافت واحس بالهدوء بعد صخب الموقد الذي يشبه ضجيج الآلات الضخمة . وفي اللحظة التي باح فيها الاعرج بوفاة الشيخ جعفر ، انقطع حبل الحديث ، واحس رافت بالحياة تكاد تتوقف الآن !. صب الاعرج الشاي في كوبين صغيرين وهو يتمتم :

ـ ان لم تجد شيئا تحيا من اجله ، صرت ميتا وسط الاحياء ، تأكل وتشرب وتنام ، لكنك ميت الاحساس ، لا تجري وراء أمل ، ولا تتعب من أجل شيء ما . اتعرف كيف أعيش يا استاذ ؟. انا اعيش على صدقات اولاد الحلال من ابناء الحي الذين عرفوا مأساتي . لكنهم حتما يترقبون ساعة موتي ، حتى يهرعوا الى فتح مقبرة الصدقات ، ويواروا جسدي التراب ، ويستريحوا من متاعب ارسال الطعام والشراب كل يوم . انهم أهل بر ، ولكنهم يعيشون حياتهم الخاصة التي يودون ان تكون نقية لا تشوبها شوائب . اعرف كل هذا واصمت ، فليس لي حق الكلام ، حتى الكلام لا املكه . والآن فقط احس براحة كبرى ، فقد فتحت لي صدرك الحنون ، واضعت من وقتك الكثير لتسمع قصتي ، شكرا لك .. فأنا أعيش الآن لحظات حياة .

واتسعت ابتسامته ، ومد يده النافرة العروق ، وقال ممتنا :

ـ تفضل الشاي .

ارتشفا الشاي معا ، وكانت لحظة سعادة للاعرج الذي وارى ابتسامته البلهاء وانتشى براحة كبرى ، واحس بقلبه ينبض ربما لاول مرة نبضات حية . اما رافت فقد تغير وجهه واسود بهباب الموقد . جال بعينيه في حوائط الغرفة باحثا عن مرآة ، فلم يجد . ولم يكن يتصور ان رحلته الى هذا الحي العتيق ستكون قاسية الى هذا الحد ، وتدمي قلبه . أين هو الآن من حياة المراقص والمغامرات العاطفية ؟!. وكيف ينتقل من الشيء الى نقيضه ؟!. يمكنه الهرب فورا ، الا ان نداء صاخبا في اعماقه يحفزه الى منادمة الاعرج حيث

تشبعت روحه بالمأساة وتعايش معها كاتما انفاسه .

ويروي الاعرج تفاصيل المأساة ، ويفيض في الحديث عن الضحايا .. وتشمل قائمة الضحايا مشاهد رائعة لافراح الحياة .. عروسان في ليلة زفافهما ، واخوة اربعة صغار تماسكوا لحظة القضاء وماتوا متعانقين فصعب فصل جثثهم ، واعزب يمرن انامله على اوتار العود، رفيق عمره ، استعدادا لاحياء حفل زفاف صديقه فتنهال عليه الانقاض ممزقة اللحن ، واذا بجثته تخرج من تحت الانقاض وذراعاه محتضنتان عوده .. نماذج رائعة من لحظات حياة ، ينقض الموت على اصحابها ، فيسلب حياتهم الرائعة. يجامل الحظ صاحبنا الذي صار اعرج ، يفر مهرولا خارج البيت ، فيسقط متعثرا ، ثم يقع حجر ثقيل على رجله ، ثم تنتشله ايدي رجال الانقاذ وهو يلهث بين الحياة والموت، وكان اول انسان امكن انقاذه ، ثم اذا به يفقد ساقه ، وزوجته ، واولاده ، ولا يبقى له في الحياة سوى صدقات أهل الخير .

بقي الاعرج بساقه المبتورة ، دليلا حيا على وطأة الاقدار على أناس آمنين . وتجسدت المأساة امام رافت ، وعرف ان بعض من قتلوا يعرفهم .. قد يتذكر ملامحهم ، او يذكر الاسم فقط .

ــ يعني مات الشيخ جعفر .

ــ أجل ..

دخلت فتاة رائعة الجمال ، بيضاء البشرة ، حلوة العينين . بوغت رافت الذي جذبه جمالها فانتشله من هوة اليأس التي سقط فيها . وتساءل : هل يعرف الجمال الطريق الى هذه الحجرة المقبرة ؟. هل ينشد الجمال الفناء ، والاجدى به ابتغاء الحياة ؟. ابتسمت الفتاة ولم تتكلم . ابتسم لها رافت ، وحياها ، لكنها لم ترد على تحيته . ثم اتسعت ابتسامتها ، وقهقهت عالية.

ما هذا ؟.. أتسخر من وجوده هنا ؟. حقا ، لا مكان له في هذه الحجرة الكئيبة ، لكن ماذا يفعل ازاء رغبة دفينة ترغمه على البقاء ، ولا يدري لها سببا . وحين فطن الاعرج الى الغموض الذي انتابه ، صارحه القول :

ــ انها زبيدة ابنة الشيخ جعفر .

فنهض على الفور ، وبسط يده محييا :

ــ أهلا وسهلا آنسة زبيدة .. انا المهندس رافت ابن الاستاذ احمد ، صديق ابيك ، رحمهما الله .

لكنها لم تمد يدها ، وظلت يده معلقة في الهواء فترة . كرر التحية بصوت عال ، ومقربا يده الممدودة ، لكن الضحكات جلجلت في انحاء الغرفة ، فسحب يده دهشا . ثم تمد زبيدة يدها ، وتتحسس بأناملها الرقيقة مؤخرة راسه ، ثم تتجه الى وجهه ، وتتحسس ملامحه .. انفه ، فمه ، اذنيه .. ثم الى اسفل متحسسة رقبته ، ورباط العنق ، وصدره .. ثم بكلتي يديها تمسك كتفيه في حرص. جاهد رافت حتى تخلص من ذراعيها المتشبثتين . ابتعد قليلا عنها . نظر الى الاعرج الذي ابتسم ابتسامة بلهاء ، ثم تمتم :

ــ لا تعجب .. لقد اختل عقلها بعد الحادث . انها زميلتي في المأساة . سلبتني الاقدار ساقي ، وسلبتها عقلها . لقد مات ابوها واخواتها وامها .. ولم يبق لها في الدنيا أحد . نحن زميلان ، وقد اعتادت هذه الحجرة الكئيبة ، والفت معاشرتي .

شرد رافت في الماضي البعيد ، حين كان صبيا ابن الثالثة عشرة ، وزبيدة ابنة الثامنة .. كانت طفلة رائعة الجمال ، خفيفة الظل ، حلوة العينين ، حلوة الحديث . كم كان يهفو في صباه اليها ويشعر بعاطفة تجذبه نحوها !. تمسك زبيدة

بقطعتي خشب ، تدق احداها بالاخرى على الحائط المتهالك ، فيتساقط الجير على الارض ، يدعها الاعرج تلهو كما تشاء . حين تتجمع حفنة من الجير ، تقعد القرفصاء ، وتفتش بأصابعها في التراب الجيري كمن يبحث عن شيء مفقود . قال الاعرج مبتسما :

ــ شبعت حجرتي المسكينة عبثا في حوائطها . كل يوم تفعل ذلك . تسقط بياض الحائط ، ثم تبحث فيه عن شيء لا يعلمه الا الله .

وتفكر رافت فيما تفعله زبيدة ، صاحبة اجمل عينين رآهما ، ثم مد يده واخرج حافظة النقود ، وابرز المائة جنيه .. عشر ورقات كبيرة .. سأل الاعرج :

ــ ماذا تفعل ؟.

ــ أسدد الدين .

لم يفهم الاعرج مقصده ، فأوضح له رافت قصة المائة جنيه ..

ــ والآن ، يتوجب علي ان ارد الدين الى الوارثة الوحيدة ، الى زبيدة . ولاول مرة يضحك الاعرج ضحكات عالية .. ثم هدأ سريعا وقال :

ــ لا تعطها شيئا .. انها تحرق أي ورق تمسكه . رد اليها الدين قطعا فضية !.

وضحك رافت . تخيل المائة جنيه وقد تحولت كلها الى قطع فضية صغيرة . ثم لاحت في خاطره فكرة :

ــ سأقسط المبلغ . سأحضر كل اسبوع واعطيها ما يكفي معيشتها ، حتى تنفد المائة جنيه .

ــ خيرا تفعل .

ثم اخرج جنيها واعطاه لزبيدة ، كان الجنيه عبارة عن عشر قطع فضية ، ففرحت بها ، وطبعت على خده قبلة سريعة . وحين هم بالاستئذان ، نظر الى الاعرج قليلا، ثم اخرج من جيبه قطعة فضية اخرى وناولها له ، لكنه رفض ، واصر على الرفض . ثم ارتسمت من جديد تلك الابتسامة البلهاء ، ثم

١٥ أيار

ويثيرها في عمق اعماقي — زوابــع عـاصفــات
تود لــو تمحو .. تـدك — حصون اعدائي الطغـاة
وتجلجل الذكرى فتهزج — فـي كيـانـي ثـورة
تشـدو غـدا — يـروي الـرواة

قـد طال بـي يـا زورقي — التجديف في البحر الخضم
لا مستقـر ولا ضيـاء — ينـير ليلـي المدلهـم
لكنني مـا زلت مرفوع — الجبين تضج فـي روحي
غـدا يروي الرواة

انـا مـن ثـرى لا كالثرى — قدسي مـن صنع السماء
علـوي خصته الملائـك — بالبشائـر والغنـاء
وتطهـرت ارجـاؤه — بحفيف خطـو الانبيـاء
افهـل يضيـع موطنـي — لا في غـد يروي الرواة

أيـار يـا شهـر المذلة — والخيانـة والسـواد
أيـار يـا شهـر القوافل — نازحـات فـي حـداد
أيـار لا أهـلا .. ولكـن — لا فكـرهـن زادنـا
انـا مزجنا كـره ايـار — بـسـر حيـاتنـا
أيـار مهـلا لا مفـر — ففـي غـد يـروي الرواة

وفي غـد تحكـي حكايات — البطولة فـي حمانـا
يـا موطنا مـا زال اشواقا — تـزغـرد فـي دمـانـا
سنعود مع راياتنا الحمراء — والايـام تشهـد
سنعود يـا ايـار لا تنسى — وان العـود احمـد

الرابية ـ لبنان — اسمى طوبي

قـال :

ـ شكرا يـا استـاذ . لست بحاجة الى النقود . ماذا أفعل بها؟. لست مستدينا من احد ، والطعام يأتيني بانتظام ، والملابس ايضا .. شكرا يا استاذ .

صافح الاعرج ، وربت على كتف زبيدة ، ثم خرج الى الهواء الطلق ، واتسعت رئتاه لاستنشاق الهـواء النقي ، وخطا خطوات بطيئة عائـدا من رحلته المثقلة بالاوجاع .

ما افدح الدين يا ابي ! . انه دين ثقيل يلزمني ان اتردد علـى هـذا العالم ، والتقي بزبيدة مرة كـل اسبوع ، واكاد .. اكاد احس ان الدين يكبر ، لقد صار الدين اكثر من مائة جنيه ، واكبر .. لقد ذكرت في وصيتك ان الدين مائة جنيه ، ولم تدرك ان للدين هموما ، ان زبيدة المسلوبة العقل اصبحت دينا فـي عنقـي ، علـي ان ارعاها . لـم تطلب مني يا ابي ذلك ، ولم يطالبني به احد ، لكني الزمت نفسي بـه .

دافع خفي يلزمني برعايتها ، هل هو حنين الطفولة ، وصورة الوجـه الجميل العالقة في ذاكرتي لم تمحها الايام ؟ . ام هي نزعة خير تنتابني ؟ ام ان حديث الاعرج اثار شجنـي وحفزني الى ذلك ؟ لست اعرف كنه الدافع الخفي .. لكني اذكر جيـدا ان قلبي خفق ذات مرة منذ عشرين عاما كلما رايت زبيدة ، واليوم يخفق نفس الخفقات ، ويئن نفس الانين !

القاهرة — حسني سيد لبيب



الدكتور محمد رجب البيومي

بندار الزيات

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

بندار الزيات ! اسم لرجل خامل ذكر اسمه في خبر واحد من اخبار كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، ومع ذلك أجدني مشوقا للحديث عنه ، وكل ما اعلم لا يتجاوز عدة أسطر تتعلق به ! أليس من العجيب ان يقرأ الانسان مجلدا كبيرا عن انسان ما ، فلا يلهمه شيئا ! ثم يقرأ بضع كلمات عن رجل خامل فيسرع الى قلمه ليكتب عنه مقالا يشغل به القراء .

على اني لا ادري أكانت كلمة الزيات هذه جزءا من اسمه ، أم انها صنعة لعمله فيكون من تجار الزيت ببغداد ، فان كانت جزءا من اسمه فهو اذن أحد هؤلاء المتواضعين الذين يقومون بالاعمال الرخيصة باذلين قصارى جهودهم في مهامهم المتواضعة ثم لا يجدون غير التهكم والزراية من الناس فهم في رأيهم أوشاب رعاع ! اما اذا كانت صفة لعمله فهو تاجر زيت بخيل لا يعد من الكرام عند من وصفته بذلك فيما ساقه صاحب الاغاني وقد آن ان ننقل نصه الكامل عن الجزء السادس ص ٢٦١ من طبعة دار الكتب .

« اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني الزبير بن بكار ، قال لي علي بن جعفر ابن محمد : دخلت على جواري المرواني بمكة ، وعاتكة بنت شهدة تطارحهن لحنها القائل :

يا صاحبي دعا الملامة واعلما ... ان الهوى يدع الكرام عبيدا

فجعلت واحدة منهن تقول « يدع الرجال عبيدا » فصاحت بهما عاتكة بنت شهدة ويلك ! بندار الزيات (العاض كذا من أمه) رجل ! أفمن الكرام هو ؟ قال علي بن جعفر ، فكنت اذا مر بي بندار او رأيته غلبني الضحك ، فأستحي منه ، وآخذ بيده واجعل ذلك بشاشة ، حتى اورث هذا بيني وبينه مقاربة ، فكان يقول : ابو الحسن علي بن جعفر صديقي » .

هذا كل ما جاء عن بندار ، والخبر يشير الى بديهة عاتكة بنت شهدة ، وبصرها بتسديد القول ، فقد هالها ان تخطىء الجارية اذ تبدل لفظا مكان لفظ فيكون ذلك الابدال الخاطيء مدعاة لسب انسان متواضع ، ثم لضحك سامع مستغرب ثم الى تخيل صداقة بنيت على العبث والاضحاك !

لقد طوى الزمن بندار الزيات! ولكن أبا الفرج اعاده الي بصورة قوية اذ وجدت بين معارفي الزملاء من صنع بي صنيع بندار مع علي بن جعفر ، فكان يعتقد اني صديقه وكنت مضطرا الى تأكيد اعتقاده ، تفاديا من موقف سخرية لا يليق بانسان ان يتورط فيه ، أما كيف كان ذلك ؟ فلتسمع .

كنت منذ أكثر من خمسة عشر عاما أجلس في مقهى متواضع على شاطيء النيل بالمنصورة فطرق سمعي حديث عن الشعر والنقد ، فأرهفت اذني لاسمع ، فاذا بي اجد زميلي حينئذ في التدريس باحدى المدارس الثانوية الاستاذ « اسماعيل » يناقش شاعرا في قصيدة نظمها اذ ذاك ومطلعها :

تخطر وادي النيل في الحلل الخضر ... سلام على الوادي سلام على مصر
اذا نزل المنصورة اهتز معجبا ... وحيا القصور الشم مبتسم الثغر

وكان صوت الاستاذ اسماعيل يعلو في احتداد وهو يقول للشاعر ! ما هذا « سلام على الوادي سلام على مصر » اتكرر كلمة سلام مرتين في بيت واحد ، فيرد الناظم على استحياء ليقول « لقد كررها حافظ ابراهيم حين قال :

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات

فيقهقه الاستاذ الناقد ساخرا ، ويقول لقد جاء تكرار حافظ في البيت بأجمعه ففي كل شطرة سلام ، اما انت فقد جمعت السلامين في شطرة واحدة ، وذلك لا يجوز » .

لم أطق ان اواصل تجاهلي ، فرفعت رأسي لاتصفح الوجوه ، فاذا بالاستاذ اسماعيل يقف هاشا باشا لتحيتي! ويقول هيا يا استاذ رجب ! تعال معنا ، فنحن نتحدث في النقد الادبي ، وكان يكبرني بأكثر من عشرين عاما وقد وقف ليصافحني ، فلم اجد بدا من الانتقال اليه حيث أسرع ينادي الجرسون لاحضار تحيتي ! فليت شعري ماذا أصنع ؟ أأجرؤ على مناقشة صاحبي وانا ضيفه ؟

وهو كبير وانا صغير ؟ لم ازد على الابتسام فاستظهر الناقد موافقتي وعدني صاحب رأي ادبي متبعا ذلك ثم انبرى يقول في صوت رنان ! يا اخي : يكررون الكلمات في الشطور فيستببون في الركاكة والانصاف وانا كل يوم اصحح لهم اخطاءهم ولا يعتبرون ! ثم جاء الجرسون بالتحية وناولني الاستاذ سيجارته ! وانا اكتم ضحكي والرجل بي حفي طروب !

منذ هذا المجلس وصديقي اسماعيل لا يراني بالمقهى الا اسرع الي يحدثني في الادب والشعر والنقد على طريقته التي قدمت مثالا لها من قبل ، وقد وجدت ان مناخ الرجل الذهني لا يسمح بمناقشته ، فكنت اعد مجلسي معه ساعة ترفيه وبهجة وحسبي ذاك ، ولكن الزميل الكبير جعل فيما بعد ينصحني بآرائه ، ويتابعني بنقده ، وقد اكتب مقالا في مجلة فأبصر به ساعيا الي يقول انت صديقي ومن حقي ان اوجهك ، وانا لا أتمالك من الضحك فيعد ذلك سرورا وبشاشة ، ثم يفيض في محاضرة استطرادية ذات عرض وطول : الا انها في الواقع حصيلة خواء جديب .

ومرت أيام فاذا الاستاذ اسماعيل ينتقل الى زمالتي بالمدرسة ، بعد ان كان بمدرسة مجاورة بالمدينة ، فأسرع الى الاحتفاء به امام الزملاء ، ثم يأتي موعد توزيع النشاط المدرسي فاذا الاستاذ اسماعيل يقول لناظر المدرسة : سأكون مع رجب في لجنة الخطابة والشعر ، فنحن صديقان وهو يستمع الى نصائحي الادبية ويعمل بها !! فينظر صاحب الراي الي مستطلعا فلا اجد غير الموافقة عن اضطرار ثم يحين اجتماعنا بالطلاب ، فيصيح بي اسماعيل خل عنك أنت ، سأقوم بالتوجيه ، انا مجرب يا استاذ ، لي مع التلاميذ اكثر من ربع قرن !! واعتقد ان الاجتماع سيتحول الى مسرحية ، فأغالب الضحك ، وينطلق الاستاذ ليقول للتلاميذ .

ان الخطابة يا اولاد ! ذات مراسيم ! اذا اردت يا بني ان تلقي خطبة بالمدرسة ـ وكأن الخطابة في رأيه لا تكون الا بالمدرسة فقط ـ فعليك ان تتجه اولا جهة الناظر ثم تقول سيدي ناظر المدرسة ثم تتجه ثانيا الى الوكلاء ـ وكان بمدرستنا اربعة وكلاء ـ فتقول في شموخ سادتي الوكلاء ثم تتجه ثالثا الى الاساتذة الاوائل فتقول سادتي المدرسين الاوائل ثم تتجه رابعا الى المدرسين فتقول سادتي المدرسين فاذا فرغت من ذلك صحت بصوت جوهري « زملائي الطلاب » وحينئذ تنطلق في الخطابة كما تشاء .

لا ادري كيف استطعت ان اغالب الضحك فقلت في تأدب لانقل الموضوع من الهزل الى الجد بعض الشيء ، استاذي اسماعيل : يجب ان نرشد الطلاب الى بعض الكتب الادبية التي تنمي مواهبهم الفكرية فيبدعون !

وما كاد الاستاذ اسماعيل يسمع ذلك حتى صاح : عليهم بكتاب خطب الحجاج ! الحجاج خطيب عظيم درست خطبته كثيرا للتلاميذ ! ففغرت فمي دهشا ، اذ لا يوجد كتاب يحمل خطب الحجاج ، وما كان الحجاج بالمثل المحتذى لطالب القرن العشرين ! وكل ما يروى له لا يتجاوز بضعة خطب تقعقع بالتهديد في غير طائل ! فقلت في ادب ، لندع الحجاج الآن يا سيدي ! فصاح الرجل ما هذا ؟ انا اعلم الاولاد الخطابة يا اخي اسكت انت ؟ دعهم ينتفعوا فنحن مسؤولون عنهم !! يستطيعون ان يقرءوا نهج البلاغة للامام علي ايضا ؟! ماذا تقول في خطب الامام علي ؟ فلم اجد بدا من الموافقة والا فكيف يتشاجر استاذان امام التلاميذ .

والحق انني في اعماقي احب الاستاذ اسماعيل واعتد وجوده فرصة طيبة لترويح ذهني غير متكلف فالرجل لغرائبه يقدم لصاحبه طرفة حية حافلة بالاطايب المشتهاة ، وقد تقرأ صفحات النوادر في كتب الادب فلا تغنيك فتيلا عن شطحات اسماعيل ، لذلك آثرت السكوت في حضرته ، وعودته نفسي تلميذا اسعد بتوجيهه الادبي ؟ وماذا يضير ؟ ان جماعات النشاط الادبي في المدارس الثانوية تعد بالمئات ؟ فماذا فعلت هذه الجماعات حتى نطالب امثال الاستاذ اسماعيل باكثر مما يطيقون ، لتكن جماعة المدرسة الثانوية بالمنصورة احدى هذه النظائر التي تجتمع وتفترق دون محصول ، ولينشط استاذنا اسماعيل في التقويم والتسديد .

على ان جلسة الشعر كانت كجلسة الخطابة تجد من احتفال الاستاذ اكبر نصيب ، لقد اعتقد الرجل ان ذوي المواهب الشعرية من الناشئة لا يحلق لهم جناح الا اذا حفظوا المعلقات ! والمعلقات وحدها دون زحام ! فهو لا يزال يبدي ويعيد في الحديث عن فضائل المعلقات سبعا كن او عشرا ، على انه في معرض الاستشهاد لا يمثل الا بمعلقة عمرو بن كلثوم في كل جلسة ، فهو لا يفتأ ينهض واقفا وقد قطب حاجبيه ولوح بعصاه واخذ ينشد :

اذا بلغ الرضيع لنا فطاما   تخر له الجبابر ساجدينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا   ويشرب غيرنا كدرا وطينا

الى آخر ما يحفظه من ابيات تزيد على الثلاثين ! ثم لا يسأم وقفته العنترية في كل اجتماع محاذرا ان يلم بشرح بيت او ايضاح تشبيه او ذكر مناسبة دعت الشاعر الى القول فكل ذلك مما لا يفيد الناشئة بحال انما يفيدهم ان ينطلق صوت الاستاذ مجلجلا بمثل قول الشاعر :

وانا نورد الرايات بيضا   ونصدرهن حمرا قد روينا

وقد نظر الي متسائلا على غير عادته فقال ايهما احسن يا صاحبي ؟ نونية عمرو بن كلثوم ام نونية ابن زيدون .

فدهشت دهشة كبيرة للموازنة بين قصيدتين تختلفان في كل شيء ولا تجمع بينهما ناحية واحدة يتجه

عتاب الاحباب

ما عدت لي ، ما عدت لـي ... يـا لحن حبـي الاول
عينـاك كانتـا جنـا ... حي أملـي المبتهل
مـا اي أجر فـي مفا ... نيك ذيـول الخجـل
أنثر مـا فـي أنملـي ... من كل لـون مخملـي
هذا أنا .. أهيم في ... بيداء عمر مخجل
أرضـي ، ولا أملكهـا ... وملء جفنـي سنبلـي
زرعـي ، ولا أحصده ... والشوق أدمى منجلي
حريتـي ، وكيف ؟ من ... يحجبها عـن قللـي

يـا سوريا ، يا شمعتي ، ... يـا وتـري ، يـا هيكلـي
ايـن ؟ ومـا أملتهـا ... أيـن يقولهـا علـي
قطفت كم نجيمة ... لشعـرك المسترسل
لونت كم سوسنة ... فـي دربـك المهلل
حرقت ، كم حرقت من ... عمري لكي تكتملي
يـا سوريا ، جرحت في ... عيني فجر الامل
أهكـذا أنت كأن ... لم تغرفي من منهلي
يظل ليلـي معتمـا ... بعدك يا مؤملي
اواه .. ما أصنع ؟ ما ... حيلة هذا البلبل
انا اليتيم الحق ، فابكي ... يـا ذرا ، وابتهلـي

أجر في بيروت قيد ... الشاعر المشتعل
ونجمـة صغيـرة ... خلف الربا تضحك لـي

حلب ـ دار الكتب الوطنية ... علي الزيبق

اليها الكلام ، ولكني اعرف صاحبي واعلم انني سأتعرض الى ثرثرة مزبدة لا تهدأ غواربها اذا استثرت اعتراضه فقلت في ابتسام : انت اقنعتني بتفوق عمرو بن كلثوم يا استاذ ؟ ومن الذي لا يسمع القاءك ثم لا يعجب بشاعر المعلقات !

ففرح الرجل فرحا تمايل له في نشوة حتى اثار انتباه الطلاب ، ثم مضى يسهب في مديح المعلقات بوجه عام دون تخصيص ، وكيف ذاك .

سافرت الى بلد آخر منتقلا من اقليم الى اقليم ، وانقطعت انباء الاستاذ اسماعيل فما عادت تطرقني في كل حين ، وكنت علم الله في شوق ملح الى احدى طرائفه البارعة واني ! حتى ذهبت الى القاهرة ذات مساء فقابلت أحد زملاء التدريس بالمنصورة فصافحته في شوق ودار الحديث فسألته :

ما انباء استاذنا اسماعيل ؟

فأرسل الرجل ضحكة عالية وقال اتدري انني صرت صديقه اجباريا منذ ثلاث سنوات ؟ قلت وكيف !

قال ركبت سيارة المدينة ذات مرة فوجدت مكانا خاليا فجلست فيه ، ثم التفت فاذا مجاوري الاستاذ اسماعيل فأردت ان اطيب خاطره فقلت في مجاملة هينة ! هكذا يميل المدرس الى المدرس فيسارع الى الجلوس معه ، ولم البث ان سمعت اسماعيل يصيح بصوت مرتفع ضحك له الناس حين قال :

انت لست بليغا ! قل لا يميل المدرس الا الى المدرس يا استاذ ليكون الكلام من باب القصر يا ناس ! فلم اتمالك ان ابتسمت انقاذا للموقف فعد الاستاذ ذلك اعجابا به ، ومن يومها وهو لا يتركني في مجلس حتى يسرع الى السلام علي في اعتزاز .

قلبت كفا بكف ! وقلت لقد عدنا الى بندار الزيات من جديد .

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



عيسى الناعوري

النزاع العربي الاسرائيلي كما يتمثل في الادب القصصي العربي

رسالة دكتوراه للمستعرب الامريكي هوارد دوغلاس رولند

(جامعة ميتشيفان ـ ١٩٧١)

بقلم عيسى الناعوري

* * *

هذا الكتاب الضخم ، ذو الصفحات الاربعمئة والخمس والاربعين من القطع الكبير ، رسالة جامعية نال عليهـا الصديق المستعرب الاميركي هوارد دوغلاس رولند درجة الدكتوراه من جامعة ميتشيغان عام ١٩٧١، وكانت لجنة المناقشة برئاسة الاستاذ المستعرب (تريفورلي غاسيك) وهو ناقد اميركي للقصة والرواية في البلاد العربية ، وعضوية الاساتذة: جيمز بيلامي ، ومارفن فيلهايم ، وايرنست مـاك كاروس ، وراجـي رموني .

من اجل وضع هذه الرسالة العظيمة الاهمية ، قام المؤلف برحلات واسعة في الاقطار العربية ـ كما يذكر في مقدمة الرسالة ـ وقـد زار لبنان ، ومصر واقام فيهما شهورا بغيـة الاتصال المباشر بالادبـاء ، والنقاد ، ودور النشر ، والاطلاع على ما انتجته الاقلام العربية في ميدان القصة والرواية والمسرح حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، أو حـول المأساة الفلسطينية . في لبنان قضى شهرين من صيف عـام ١٩٦٩ ، واتصل فيها بعدد من الادباء ، واطلع على الصحف والمجلات المتفرقة التي كانت لها مشاركة في الموضوع ، وحصل على العديد من المؤلفات اللازمة لعمله ، اما من اصحابها مباشرة واما من المكتبات ودور النشر،

كما استعان بمكتبة الجامعة الاميركية التي يقول انها « تحتوي عـلى مجموعة ممتازة من المجلات العربية الادبية المعاصرة ، ومـن مؤلفات الادباء العرب » . ومن اهم مصادره في لبنـان كانت المقابلات التـي اجراها شخصيا مع : (غسان كنفاني) الذي يقول المؤلف انه « اشهر المؤلفين في حقل القصة والرواية العربية في قضية فلسطين » ، وسهيل ادريس « صاحب مجلـة الاداب الشهرية الطليعية ، واحـد المدافعين القياديين عن الادب الثوروي العربي بجميع اشكاله » ، كما يصفـه المؤلف كذلك .

وبعد بيروت انتقل المؤلف الى القاهرة للبحث عن مصادر مصريـة في هذا الحقل ، وليشرع كذلك في كتابة الرسالة . وقـد وجـد ان الجامعة الاميركية في القاهرة « تملك أكمل مجموعة ، وادقهـا تنظيما وتهيئة للاستعمال من المجلات المصرية المعاصرة » ، كما يذكر في المقدمة. وهناك اتصل شخصيا بغالي شكري « الناقد الادبي الشهير المهتم بهذا النوع من الادب » ـ كما يصفه ـ وسليمان فياض « الذي برز في الآونة الاخيرة واحدا من اقدر الناقدين المصريين واجراهم ، ومن كتاب القصة المهمين » ، كما يقول المؤلف كذلك .

في هذه الآونة نفسها لم يكتف هوارد رولند بمن قابلهـم شخصيا من الادباء في بيروت والقاهرة ، ولا بما جمعه ومـا اطلع عليه مـن الروايات ، والاقاصيص المتفرقة في الصحف والمجلات ، ومـن الاعمال المسرحية ، بل راح يبحث عن ادباء آخرين ممن لهم مشاركة مذكورة في حقل اهتمامه . وكتب الى مجلة « الاديب » في بيروت يرجو معرفـة عنواني وعنوان الصديق عبد الحميـد الانشاصي . فاتصلت بـه ، وارسلت اليه مجموعة مؤلفاتي القصصية والروائية التي تهمه ، وهي : (روايتا : بيت وراء الحـدود ، وجـراح جديـدة) والمجموعتان القصصيتان (طريق الشوك ، وعائد الى الميدان) ولـم أتمكن مـن تزويده بمجموعتي القصصية (خلي السيف يقـول) لنفاد جميـع نسخها ، ولكن يبدو انه اطلع عليها بشكل ما .

وبدأت منذ ذلك بيننا صلة صداقة وثيقة ، ومراسلات مـا تزال مستمرة حميمة ، وقام اخيرا بترجمة روايتـي « بيت وراء الحدود » الى الانكليزية . وفي رسالته الاولى ذكر لـي انـه كان يشعر بأن عمله ما يزال ناقصا ، ولكنه اكتمل الآن بما ارسلته اليه مـن مؤلفاتـي ، ولولاها لظل عمله ناقصا . وهذا الذي قاله في رسائله وجدته ماثلا فعلا في رسالته للدكتوراه ، التي تفضل فاهدى الي اخيرا نسخة منهـا ، فعكفت حالا على قراءتها ، ورغم ضخامتها الهائلة ، لم اتركها حتـى اتيت عليها من الغلاف الى الغلاف في اقل من اثنتي عشرة ساعة .

ان هذه الرسالة الكبيرة الاهمية ليس في المكتبة العربية ما يماثلها، مع الاسف الشديد . وقد صدق غالي شكري حين قال لهوارد رولنـد في مقابلته له في بناية الاهرام في القاهرة في اكتوبر ١٩٦٩ : « انـك تعرف في هذا الموضوع اكثر مما نعرف نحن ، وكان علينا نحن العـرب ان نفعل ما تفعله انت الآن » . ويقول المؤلف ان كلمات غالي تلك كانت مفاجأة له . ومن حقه ان يفاجأ بذلك ، ولكن المفاجأة الحقيقية هـي مفاجأتنا نحن العرب برسالته الضخمة هذه ، التـي قدمت للقصـة العربية المعاصرة ، وللقضية الفلسطينية معا ، خدمة عظيمة الاهمية ، لم يستطع ان يقدمها باحث وناقد عربي بعد .

ولئن كان هوارد يشكر في مقدمة رسالته الادباء الذين قدموا لـه مساعدات قيمة لنجاح رسالته ، ويذكر منهم بشكل خاص : (حليـم بركات ، غسان كنفاني ، سهيل ادريس ، عيسى الناعوري ، غالـي شكري ، وسليمان فياض) فالشكر الحقيقي ، في الدرجة الاولـى ، لهوارد نفسه ، للخدمة الجليلة التي قدمها برسالته الى القصة العربية

« The Arab - Israeli . Conflict as represented in Arabic Fictional Literature by : Howard D. Rowland .

المعاصرة ، ولا سيما ما يتعلق منها بقضية فلسطين .

تشتمل رسالة هوارد على فاتحة قصيرة ، او كلمة منفردة ، كما يدعوها . في ثلاث صفحات ، تليها مقدمة تمهيدية ذات ثماني صفحات، ثم تلي ذلك مقدمة طويلة في ١٤ صفحة ، وتسعة فصول طويلة تبحث بحثا تحليليا وافيا وذكيا جدا في ما يلي :

(١) الروايات ، (٢) الاقاصيص ، (٣) المسرحيات ، (٤) تصوير المجابهات العسكرية (في الاعمال القصصية والروائية) ، (٥) تصوير العرب ، (٦) تصوير اليهود ، (٧) تصوير اللاجئين ، (٨) أهمية الفدائيين العرب ، (٩) تقييم نقدي للاعمال .

وتلي ذلك نبذة عن حياة بعض الادباء واعمالهم الادبية ، ثم ترجمات لعدد من الاقاصيص ، ثم ثبت باسماء الكتاب والنقاد الذين ورد ذكرهم في الرسالة ، واسماء اعمالهم الادبية التي درسها المؤلف في رسالته .

الاعمال الادبية التي درسها المؤلف كانت ـ كما يذكر في فاتحة الكتاب ، وفي اكثر من موضع اخر ، (١٢ رواية ـ ١٦٦ اقصوصة ـ ٩ تمثيليات) . اما الروايات الاثنتا عشرة فهي ، حسب تواريخ صدورها، وحسب ورودها في الصفحة ١٥ من الرسالة :

(١) لاجئة ـ لجورج حنا ١٩٥٢ ، (٢) طريق العودة ـ ليوسف السباعي ١٩٥٨ ، (٣) بيت وراء الحدود ـ لعيسى الناعوري ١٩٥٩، (٤) ستة ايام ـ لحليم بركات ١٩٦١ ، (٥) دقت الساعة يا فلسطين ـ ليوسف سالم ١٩٦٢ ، (٦) رجال في الشمس ـ لغسان كنفاني ١٩٦٣ ، (٧) بنفسجة للعائد ـ لاليانا صنوبر ١٩٦٥ ، (٨) ما تبقى لكم ـ لغسان كنفاني ١٩٦٦ ،) ٩ (جراح جديدة ـ لعيسى الناعوري ١٩٦٧ ، (١٠) عصافير الفجر ـ لليلى عسيران ١٩٦٨ (١١) عودة الطائر الى البحر ـ لحليم بركات ١٩٦٩ ، (١٢) ناسف الجسور ـ لعاطف احمد حلوه ١٩٦٩ .

ونلاحظ هنا ان ثلاثة مؤلفين كان لكل منهم روايتان ، وهم : (غسان كنفاني : رجال في الشمس ، وما تبقى لكم) و (حليم بركات: ستة ايام ، وعود الطائر الى البحر) و (عيسى الناعوري : بيت وراء الحدود ، وجراح جديدة) وستة مؤلفين كان لكل منهم رواية واحدة .

اما الاقاصيص المئة والست والستون التي درسها المؤلف ، وتحدث عنها في رسالته ، فقد جاء أقلها في مجموعات قصصية ، واكثرها اطلع عليه المؤلف في صحف ومجلات مختلفة ، يذكر منها في فاتحة الكتاب : الآداب ـ الاديب (لبنان) القلم (العراق) العربي (الكويت) والهلال والثقافة (مصر) .

ويلاحظ المؤلف « ان الفلسطينيين كانوا الكتاب الرئيسيين في الكتابة في موضوع فلسطين ، ويشترك معهم في ذلك كتاب لبنانيون ، وسوريون ، واردنيون ، ومصريون ، وعراقيون » .

وهناك ملاحظة اخرى مهمة جدا اوردها المؤلف في ثنايا مقدماته ودراساته التحليلية الواسعة ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ في الصفحة ٢ من الفاتحة المنفردة : « ان مؤلف هذه الرسالة يتفق مع النقاد العرب الذين يذكرون عموما ان القصة العربية ذات الصلة بالنزاع العربي الاسرائيلي لم تبلغ مستوى اهمية ذلك النزاع بالنسبة الى العالم الناطق بالعربية . ومع ذلك فان بعض الكتاب ذوي المقدرة الفكرية والفنية العالية كتبوا اعمالا رائعة في الموضوع ، أفضلها وأوسعها تقديرا هي روايات حليم بركات وغسان كنفاني واقاصيصهما» .

٢ ـ في الصفحة عينها : « مراكز النشر الرئيسية للروايات والمجموعات القصصية في هذا الموضوع كانت : بيروت ، ثم تجيء القاهرة وعمان في المركز الثاني من الاهمية » .

٣ ـ في الصفحة الاولى من المقدمة التمهيدية يذكر المؤلف ما يلي: « حين استقر رأي المؤلف على موضوع البحث والتحليل للنثر القصصي العربي الذي كتب منذ عام ١٩٤٨ ، كان يتوقع ان يجد اعمالا منشورة ذات صلة بالموضوع ، في العالم العربي طبعا ، ان لم يكن في الاقطار الغربية . ولكنه اكتشف انه حتى العالم العربي لم ينتج ابحاثا ودراسات واسعة في هذا الحقل خاصة » .

ثم يضيف معلقا على هذا النقص ، وهو نقص معيب ، دون ريب، مع وفرة الجامعات والاساتذة الجامعيين العرب ! :

« بعد التامل ، ليس من الصعب العثور على اسباب نقص البحث الاكاديمي في هذا الحقل الخاص » . ويذكر من هذه الاسباب ان « العالم العربي لديه عدد قليل من الجامعات ذات التأهيل العالي ، وما تزال ضعيفة الى حد ما ، في حقل الابحاث الجامعية . ونتيجة ذلك ، على الرغم من وجود كثير من العرب الذين قد يكونون وثيقي الصلة بادبهم المتعلق بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، ان القليلين من هؤلاء هم خريجون او اساتذة في معاهد عليا للتعليم يعملون في مثل هذه الدراسات الجادة المطلوبة لدرجة الدكتوراه في الاداب ، كالاطروحات وما اليها من الدراسات والابحاث » .

ويضيف الى ذلك سببا آخر ـ هو الثالث في سلسلة الاسباب التي يوردها ـ : « ان البحث في مشكلة النزاع العربي ـ الاسرائيلي مغامرة سياسية حساسة ، بالنسبة الى الحكومات والشعوب العربية ».

اهم الاسماء التي تتردد في رسالة هوارد رولند بكثرة وتكرار ، والتي نالت العديد من الصفحات مرارا متعددة ، كانت اسماء : (غسان كنفاني ، حليم بركات ، عيسى الناعوري ، يوسف سالم) ذلك ان هؤلاء يتميزون بوفرة الانتاج في الموضوع الذي تدور عليه الرسالة ، ولهم مشاركة في الرواية وفي القصة القصيرة معا . واهم الاسماء البارزة الاخرى التي تلي هؤلاء ، هي اسماء : سهيل ادريس ، سميرة عزام ، ليلى عسيران ، سليمان فياض ، احمد سويد ، محمد جلال عناية ، وجورج حنا ، بعضهم ممن كتبوا الرواية فقط ، والبعض الاخر ممن كتبوا القصة القصيرة فقط في القضية الفلسطينية . اما العناصر التي دعاها المؤلف بالثانوية فكثيرة جدا ، ولكن من اهمها : محمود سيف الدين الايراني ، واحمد العناني ، ويوسف السباعي ، واحسان عبد القدوس .

ومن المجموعات القصصية التي درسها المؤلف ، مختارا منها الاقاصيص التي تتعلق بموضوعه ، نذكر :

حبة البرتقال ـ لاحمد العناني . الصمت والمطر ـ لحليم بركات . احزان حزيران ـ لسليمان فياض . دم على الجدار ـ لمحمد جلال عناية . مع الناس ـ لمحمود سيف الدين الايراني . عن الرجال والبنادق ـ لغسان كنفاني . ارض البرتقال الحزين ـ لغسان كنفاني . موت سرير رقم ١٢ ـ لغسان كنفاني . عائد الى الميدان ـ لعيسى الناعوري . طريق الشوك ـ لعيسى الناعوري . خلي السيف يقول ـ لعيسى الناعوري . الساعة والانسان ـ لسميرة عزام .

وحين يجيء المؤلف الى فصل التقييم النقدي للاعمال التي درسها في رسالته يقدم آراء عدد من النقاد العرب ، سواء منهم من وضعوا كتبا في هذا الصدد ، ام من كتبوا مقالات نقدية في الصحف ، ام من اجرى المؤلف نفسه لقاءات ادبية معهم ابدوا فيها آراءهم النقدية في الادب القصصي والروائي العربي المتعلق بالقضية الفلسطينية . ومن هؤلاء يذكر المؤلف : لي غاسيك (الناقد والباحث الاميركي المختص بالقصة العربية الحديثة ، ومؤلف كتاب عن حليم بركات) وسهيل ادريس (في استفتاء الآداب عام ١٩٦٤) وهاشم ياغي (في كتابه : القصة القصيرة في فلسطين والاردن) وغالي شكري ، ونعيم حسن اليافي ، وسميرة عزام ، وعبد الكريم غلاب ، وغسان كنفاني وغيرهم (في مقالات لهم في الصحف ، ولا سيما في استفتاء مجلة الآداب) .

غير ان المؤلف يعقب على آرائهم جميعا برأيه الخاص في الاعمال التي قدمها في رسالته . ويشعر المرء بالمستوى العالي من الحصافة والفطنة والحياد ودقة التقدير في الآراء التي يبديها المؤلف . وهو يعلل

قلة الانتاج الادبي في حقل القصة والرواية في القضية الفلسطينية ، باسباب متعددة ، منها :

١ ـ ان الكتابة القصصية ما تزال وسيلة حديثة العهد في التعبير الادبي العربي .

٢ ـ اعترافا بصحة ما قاله غسان كنفاني من ان « الكاتب يكتب في ما يهمه مباشرة ، وما يؤثر على كيانه الخاص » ، وبما ينطبق عليه من ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي يؤثر على الفلسطينيين العرب بشكل مباشر اكثر مما يؤثر على سواهم ، فان الكتابة القصصية في النزاع العربي ـ الاسرائيلي هي مهمة الكتاب الفلسطينيين بشكل اساسي . وفعلا كانوا هم اكثر من كتبوا في الموضوع .

٣ ـ تصديقا لما قاله سهيل ادريس ، من الصعب على احسن الادباء العرب ان يكتبوا اعمالا قصصية وروائية حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، لان هذا النزاع ما يزال قائما ، وقد لا ينتهي الى حل لعدة سنين قادمة .

٤ ـ وهناك سبب اخر وهو ان اكثرية المثقفين العرب غير الفلسطينيين ، ومنهم الادباء والكتاب ، لم تكن لهم صلة مباشرة بالمشكلة ، فهم يشاركون فيها عاطفيا ، ولكنهم لا يحسونها كاهلها بعمق واصالة ، مثلما يتأثرون بعمق وأصالة بأحداث اقطارهم الخاصة . ومن هؤلاء ، مثلا ، أدباء الشمال الافريقي العرب ، ولا سيما الجزائريون ، الذين شاركوا مشاركة اصيلة وفعالة في نضال الجزائر . وكذلك المصريون ، وغيرهم .

ويعقب المؤلف على ذلك بما خلاصته : كل هذه الاسباب وغيرها تساعد على ان ندرك لماذا ليس ثمة ادب قصصي وروائي اكثر من هذا وافضل حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي . غير ان هذا لا ينفي حقيقة ان ثمة ادبا قصصيا من طراز عال في هذا الموضوع » .

وفي هذا يقول المؤلف : « والواقع ان كاتب هذه الرسالة قد وقع على عدد مرموق من الروايات والاقاصيص ، بشكل خاص ، مما يعتبره مهما جدا وحافزا الى المزيد . وهو في هذا قد يبدو اكثر تقديرا لهذا اللون من العمل القصصي العربي من الكتاب والنقاد العرب انفسهم ، فروايتا حليم بركات ، مثلا : (ستة ايام ـ وعودة الطائر الى البحر) هما عملان على مستوى فكري عال ... ومن بين جميع الادباء الذين كتبوا في الموضوع ، كان غسان كنفاني اغزرهم انتاجا واخصبهم خيالا . وبما انه فلسطيني عاش مأساة شعبه عن كثب ، فهو الناطق الادبي الاصيل بلسان العرب الفلسطينيين ... وسليمان فياض كاتب اخر اثبت انه يتمتع بمقدار كبير من الخيال والمقدرة على اثارة افكار القارىء . ومجموعته « احزان حزيران » من المؤكد انها تهز افكار مواطنيه المصريين ـ وعيسى الناعوري ، ومحمود سيف الدين الايراني وسميرة عزام ، كانوا ، في رأي المؤلف ، مبرزين في تصوير حياة العرب الفلسطينيين قبل اللجوء عام ١٩٤٨ وبعده » ...

ويختم المؤلف هذا الفصل بقوله : « وما دام النزاع يبدو انه يزداد كثافة واتساعا في اهدافه ، فليس من الممكن ان لا يعكس الادب القصصي العربي هذا الواقع » .

بعد هذه الفصول التحليلية والنقدية الواسعة ، يقدم المؤلف نبذا عن حياة عدد من الادباء الذين درس اعمالهم القصصية في رسالته ، وهم : (احسان عبد القدوس ـ عبد الحميد الانشاصي ـ حليم بركات ـ سليمان فياض ـ جورج عبده حنا ـ عاطف احمد حاوه ـ سهيل ادريس ـ غسان كنفاني ـ عيسى الناعوري ـ اليانا صنبر ـ يوسف السباعي ـ عبد السلام العجيلي ـ ليلى عسيران) .

ثم يتلو ذلك ، استكمالا للفائدة ، بترجمة بضع اقاصيص لعدد من الادباء ، ويقدم لذلك ببيان الاسباب التي دفعته الى اختيار كل واحدة منها . وهذه الاقاصيص هي : (ورقة من الرملة ، لغسان كنفاني ـ فوق التراب ، لعبد الهادي البكار ـ زغاريد ، لسميرة عزام ـ سوق الفتافيت ، لاحسان عبد القدوس ـ شيخ الكرامة ، لسهيل ادريس ـ حامد يكف عن سماع قصص الاعمام ، لغسان كنفاني) .

ويقول المؤلف عن اقصوصة « شيخ الكرامة » لسهيل ادريس انها « الاقصوصة التي يعتبرها افضل الاقاصيص التي درسها في رسالته » .

ثم يختم المؤلف رسالته بثبت طويل بالاعمال الروائية والقصصية التي درسها في رسالته ، ذاكرا اسماء أصحابها ، ومصادرها ، وتواريخ صدورها سواء في الكتب أم في الصحف .

اما التمثيليات التي درسها المؤلف في رسالته ، فهي :

(١) الساقية ـ ليوسف العاني (الآداب ـ اغسطس ١٩٦٨) ،
(٢) من خلف المعركة ـ لعلي احمد باكثير (المجلة ـ ابريل ١٩٥٩) ،
(٣) الفدائي الصغير حسن ـ لخليل هنداوي (الآداب ـ يناير ١٩٥٧)
(٤) تسع بنادق فقط ـ لخليل هنداوي (الآداب ـ يناير ١٩٥٤) ،
(٥) زهرة من دم ـ لسهيل ادريس (الآداب ـ مارس ١٩٦٩) ،
(٦) الهدف الاكبر ـ لجميل الجبوري (الاقلام ـ اغسطس ١٩٦٥) ،
(٧) لا تدفن الموتى ـ لنديم خشفة (الآداب ـ مارس ١٩٦٤) ،
(٨) محاكمة اسرائيل امام المجلس الاعلى للالهة ـ لمحمد رفعت (الهلال ـ ابريل ١٩٥٦) ، (٩) الاب والابن ـ لسميح يانس (الآداب ـ مارس ١٩٦٤) .

ونلاحظ ان جميع هذه التمثيليات قصيرة ومنشورة في مجلات ادبية مختلفة ، وليس منها واحدة منشورة في كتاب .

وحين نعرف هذا ونعرف أن الاقاصيص المئة والست والستين التي درسها المؤلف في رسالته ، لم يكن منها غير القليل مجموعا في كتب ، وان اكثريتها الساحقة منشورة في صحف ومجلات متفرقة في اقطار عربية مختلفة ، نستطيع ان ندرك مدى الجهد الذي بذله المؤلف في جمعها ، ودراستها من اجل اعداد رسالته النفيسة الضخمة . وهو جهد لا يطيقه الا من كان ذا جلد جبار على البحث والتنقيب ، ومقدرة فائقة على التحليل الادبي والعلمي الجاهد الدائب ، الباحث عن الحقيقة ، من اجل الحقيقة .

بقي ان اذكر ملاحظة أراها ذات اهمية ، وهي ان هذه الرسالة ، رغم ضخامتها ورغم الصفحات الاربعمئة والخمس والاربعين التي تضمها ، ليس فيها فصل واحد يبحث في الخلفيات التاريخية والسياسية للقضية الفلسطينية ، كما نرى في مؤلفات اساتذتنا الجامعيين التي يملأونها عادة بالمقدمات الطويلة والابحاث الخلفية ، ولا يتركون لموضوع البحث الاصيل غير الجزء اليسير . اما هوارد رولند فقد بدأ موضوعه منذ الفاتحة المنفردة ، ومضى في دراساته وابحاثه منذ ان شرع في كتابة الفصل الاول ، وجعل دراسته للخلفيات التاريخية والسياسية من خلال البحث في الاعمال الروائية والقصصية نفسها ، ومن خلال تحليلاته القوية الجادة الذكية للاعمال المدروسة . وهكذا دخل في موضوعه مباشرة ، ومضى فيه حتى نهاية الرسالة .

وحين اذكر هذا ، أتذكر الملل الذي كانت تبعثه في نفسي الفصول الطوال الطوال في الخلفيات التي تملأ مؤلفات الباحثين عندنا ـ وهي اكثر من ان تحصى ـ لملء الصفحات العديدة ، دون ان يكون لذلك تأثيره المباشر في موضوع البحث في كثير من الاحيان .

انني اعتبر خلو الرسالة من الفصول المطولة في بحث الخلفيات التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاكتفاء ببحثها مباشرة من خلال الاعمال الادبية المدروسة ، مزية مهمة من مزايا دراسة هوارد رولند النفيسة الواسعة الضافية .

والحقيقة ان مثل هذا المقال لا يمكن ان يكفي لبيان اهمية رسالة رولند الرائعة ، في هذا الموضوع الكبير الاهمية ، والذي لم يقم في العرب أنفسهم ـ أدباء وباحثين واساتذة جامعيين ـ من يعيره الاهمية التي يستحقها . ولهذا ساعود الى الرسالة فيما بعد لكي انقل الى العربية بعض أجزائها ـ تلخيصا او ترجمة امينة دقيقة ـ مما يعرض لنا طريقة المؤلف في بحثه وتحليله ، ونقده لادبنا القصصي والروائي في قضيتنا الفلسطينية ونزاعنا مع اسرائيل .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

اول حب

صفاء الحيدري

بغداد



لاح في الدرب واوما
ومضي خلفي قدما
كدت ابكي
كدت اغمى
قلت لا لا
كان وهما

وتلفت اليه
كان يحكي بيديه
يا الهي
انا انهار واعيا . اتعثر
اتداعى ، اتكسر
آه آه

كان يعنيني انا . لا ليس وهما
انه ارسل لي قبلة حب باصبعيه
قبلة من شفتيه
كان يعنيني انا . لا ليس حلما
ما الذي قال ؟ غدا
رب اعني
انا من يقصد ... يعني
يا لخوفي واضطرابي
يا لشوقي وعذابي
انا ولهى .. انا تعبى
ما الذي هذا يسمى ؟
قيل ... حبا

وغدا حين أراه
ما ستحكي لي يداه ؟
شفتاه ؟
هل سأقوى
ان أرى الدرب ، وأمضي في طريقي
اهو يلهو . اهو يهوى ؟
واذا اوما او ارسل قبله
وعيون الناس حولي
الف دبوس ونحله
فوق وجهي ، فوق نحري . خلف ظهري
كيف أمشي ، كيف أجري ؟
عرفوا ... لا شك ... أمري
فضحتني مقلتاه
كشفت سري يداه
رب لا تحرم فؤادي من هواه

ثم ضحكنا معاً ..

بقلم رستم كيلاني

قصة

كان النخيل يتعالى كثيفا نحو السماء يحيط المشرب الذي يطل على النيل كأنه يحتضن رواده .. أو كأنما يخفيهم عن العيون ..

وبينما كان « سمير » وخطيبته « سهير » يحاولان الجلوس الى احدى المناضد المتراصة على شاطىء النيل .. خطفت منه الجريدة التي كان يحملها في يده اليسرى .. وهي تقول في دلال :

ــ دعني اقرأ حظك اليوم .

ــ اتصدقين ما يكتب في تلك الزاوية ؟

فقالت دون ان ترفع عينيها عن الجريدة :

ــ في كثير من الاحيان يصدق القول ..

ــ كيف يصدق وهو يختلف من جريدة الى جريدة ، ومن مجلة الى اخرى ؟

ــ اني لست معك ..

والتفت اليها بعد ان لاحظ عليها تغيرا قد طرأ .. وقال على الفور :

ــ ما بك ؟.. ماذا جرى ؟

فخفضت « سهير » رأسها ولم تجب .. ثم امسك بالجريدة بعد ان وضعتها امامها على المنضدة ، وقرأ ما كتب عن حظه :

ــ عد لحبك القديم ..

فتضاحك قائلا :

ــ يبدو انك قد صدقت هذا القول .. اليس كذلك ؟

وسادت لحظة صمت قصيرة قطعها « سمير » سائلا :

ــ سهير .. ما بك .. لست كعادتك .. ماذا حدث ؟ لا بد ان هناك شيئا بلا ريب .. صارحيني.

فقالت وقد بدا وجهها يكسوه الغضب وهي خافضة البصر :

ــ لا شيء .. لكنني تشاءمت من حظك اليوم ..

وابتسم مازحا وهو يضغط على اناملها الرقيقة قائلا :

ــ وحتى يطمئن قلبك .. لن افكر في العودة الى حبي القديم مهما يكن يا عزيزتي ..

فحملقت فيه قائلة :

ــ اذن اعرف من حديثك هذا ان هناك حبا قديما قبلي ..

فأجابها مؤكدا :

ــ بلا شك ..

ولم تلبث ان قالت :

ــ ولماذا لم تحدثني عنه ؟

فأردف قائلا :

ــ لم تتح لي فرصة التحدث في هذا الامر .. كما انني لا ارى داعيا مطلقا للرجوع الى نبش الماضي ..

وسكت قليلا ، ثم استأنفت « سهير » تلح وتقول :

ــ ارجوك ان تحدثني عن هذا الحب .. كيف ابتدأ .. وكيف انتهى .. حدثني عن كل شيء عنه .. من هي ولماذا ...

ونظر اليها في دهشة قاطعا لحديثها :

ــ لا داعي للتحدث في هذا الموضوع .. لقد جئنا اليوم لكي نقضي لحظات سعيدة لنخطط لمستقبلنا لا لنعود الى صفحات انطوت في ظل النسيان ..

وقاطعته وقد تمادت في الحاحها :

ــ ارجوك من حقي ان اعرف كل شيء عنك .. عن ماضيك وحاضرك ومستقبلك انني سأكون شريكة حياتك ..

وبعد صمت لم يطل ، لم يجد « سمير » مناصا من اجابة طلبها .. فطفق يقدح ذاكرته ويرتب افكاره ليبتعث ما كمن فيها من ذكريات بعيدة بينما هي كانت تتطلع اليه مشدوهة ..

ومضى يروي قصته على مضض بسرعة .. واختصار .. منتقيا الالفاظ .. حاسبا لكل شيء حسابه ..

★

ــ بدات قصتي مع « عايدة » التي كانت صديقة لشقيقتي ، وكانت تتردد على منزلنا ، ونشأت بيني وبينها علاقة صامتة ..

فكنت اشعر دائما انني في حاجة الى التحدث اليها ، متعطشا لسماع صوتها وبالرغم من شعوري نحوها بهذا الحب والتقدير كنت احجم عن مصارحتها بحبي خشية ان تغضب مني .. كنت اتعذب في حبها في صمت ..

حتى جاء ذلك اليوم .. يوم عرس شقيقتي .. كان الحفل صاخبا .. زاخرا بالضجيج .. مطرب يغني والكل مشغول به .. وكانت الموسيقى تصدح وكأنما مطارق هائلة من الحديد تعمل في راسي ..

كنت واقفا اتابعها .. وظل بصري عالقا بوجهها حتى تشابكت نظراتنا وابتسمت لي وكم كانت فرحتي حينئذ ..

وطافت بي الحياة خارج هذا الحفل الزاخر بالضجيج وامتلأت نفسي بالرغبة في ان اصارحها .. وساءلت نفسي .. وكيف اصارحها وانا الذي لا اجرؤ ان اتقرب اليها.. او اتكلم معها .. من اين لي هذه الشجاعة لاقدم على هذه الخطوة..

واخيرا لم اجد امامي سوى ان

اكتب وريقة صغيرة رسولا لها تخفف آلامي وسهادي لعلها تعبر عما عجز لساني عن التعبير عنه وتبعد عني حرج لقائها وجها لوجه .. وفعلا كتبتها ..

ومرت الساعات .. وقرب ميعاد انتهاء الحفل وازف الوقت للاقدام على دس هذه الرسالة في يدها ..

وتزاحمت بخاطري الاسئلة تلو الاخرى .. واذا رفضت ان تأخذها فماذا ستكون النتيجة ؟.. ربما لا ترفضها ؟.. ربما ترفضها .. وعاد اليأس الى قلبي ، واحسست ان الجو يكاد يخنقني واخذتني الحيرة ..

ولم يمض طويل وقت حتى انتهى الحفل .. وصافحت المدعوين وجاء دورها واخرجت الرسالة المطوية من جيبي استعدادا لادسها في يدها ..

واحسست بالاضطراب حينما مددت يدي لمصافحتها .. كما احسست بدقات قلبي تتسارع وبشيء يمنعني من اعطاء الرسالة اليها .. وضغطت على يدها بحنان، وتعانقت عيوننا وقلت لها في صوت هامس :

ـ « عقبالك » ..

فشكرتني بابتسامة رقيقة واومأت برأسها ..

وكان مصير الرسالة المطوية التي لم استطع رغما مني ان ادسها في يدها .. هو التمزيق .. راحت اناملي تعبث بها وتمزقها في عصبية حتى اضحت اشلاء صغيرة من قصاصات تناثرت على ارض الصالة وامتزجت ببقايا الحفل .. وليلتها لم أنم ..

ولم تمض ايام حتى ذهبت في زيارة عائلية الى منزلها .. واول مرة احسست بأن كل تصرفاتي قد اصبحت بعيدة عن الخجل .. واحسست بشيء في اعماقي يدفعني للتحدث معها واستطعت هذه المرة ان اقاوم اسباب الاحجام والحياء ..

ومضت أيام .. وتكررت المقابلات المتباعدة .. وفي اثنائها سألتها :

ـ هل تؤمنين بالحب ؟

فكان جوابها بالنفي .. كما اكدت بأنه وهم وليس حقيقة ..

وكان وقع هذا الجواب من نفسي كأنه الصاعقة اذ لم اكن اتوقع هذا الرد الجاف من تلك الانسانة التي احببتها ، والتي ظننت انها على شيء او كل شيء فاذا بها لا شيء وان الحقيقة وضحت انها سراب..

آنئذ احسست بكبريائي يمنعني من التمادي في حبها .. فابتعدت عنها ..

وتتابعت بعد ذلك الايام والشهور واعلنت خطبتها وجاءت زائرة لنا والتقينا ، وهمست في اذنها مداعبا :

ـ هل ما زلت عند رايك ؟

فنظرت الي في دهشة تقول :

ـ ماذا تعني ؟

ـ فقلت لها :

ـ لقد كان لك راي في الحب بأنه وهم .. فهل ما زلت على هذا الرأي ..

فأجابت في ابتسامة هادئة :

ـ فلكل شيء أوان .. ولكل وقت اذان ..

وصمت « سمير » هنيهة ، ثم قال في ختام حديثه :

ـ هذا يا « سهير » ما كنت اتصوره قصة حب وان كان في الواقع مشروع حب لم يتم تنفيذه ومات في حينه فهل اطمئن قلبك الآن واستراحت مشاعرك .

وسكت .. ورانت عليهما فترة صمت عميقة وكل منهما يحدق في الآخر ..

وفجأة .. ابتسمت في عذوبة ..

وحينما ابتسم لها مجيبا على ابتسامتها ، أدنت مقعدها من مقعده وامسكت بيده تضغطها بترفق ، ثم القت بالجريدة الى النيل .. وضحكا معا ..

القاهرة — رستم كيلاني

ثمالات الضياء

هذا النهار قد انتهى ... الا ثمالات الضياء
بقيت تذر ملامح الاشياء في درب الفناء
تمتص منها اللون والنجوى ... وأسرار الفناء
الا حنيننا خافيا ... ان لاح يقهره الحياء

جثم الظلام يلفه ... صمت وسافرت المعالم
فملامح الاشياء تا ... ريخ حوادثه طلاسم
وتلاشت الاصوات وان ... هزم الصدى والوجد قائم
في عتمة الاشياء بل ... في صمتها .. الشوق دائم

هذا الحنين اللغز ينبض دائما بالكبرياء
باق برغم مرارة الجدوى وعقم الانطفاء

دمشق — سلافة العامري

بذور الطب النفسي عند العرب

بقلم الدكتور عبد القادر محمود

رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة بالخرطوم

* * *

تؤكد المصادر العربية ، ان الاعراض النفسية ، كانت مجالا لكثير من التحليل عند كثير من العلماء والفلاسفة . وتفيدنا المجموعات الطبية (١) هذه الاعراض ، هي احدى امور ، يجب على الانسان السهر على اعتدالها ليتجنب الامراض كلها ، وهذه الامور هي الهواء المحيط ، الاكل والشرب ، النوم واليقظة ، الحركة والسكون ، ثم الاستفراغ والاحتقان ، وهذا هو ما يؤكده لنا ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) في قوله ، في احدى اراجيزه ، واصفا تفاعل هذه الاعراض :

وغضب النفس يهيج الحرا	وتارة يسورث جسما ضرا
وفرح النفس يهيج البردا	وربما أفرط حتى أردى
وكثرة الافراحاخصاب البدن	ومنه ما يؤذي بافراط السمن
والحزنقد يقضيعلى المهزول	وينفع المحتاج التحول (٢)

وواضح من النصوص العديدة، في كثير من المصادر، ان معظمها يوصي بحفظ صحة النفس ، وان توصية الاطباء بوسائل الوقاية للنفس هي في غالب الاحيان ، طريقة علاج امراضها بوجه عام . فان ابن ميمون مثلا يشير على امير من بني ايوب شكا المالنخوليا Melancholia بان يصغي الى نغم المطربين وكلم الادباء والشعراء ، وان يأكل بعض الاغذية والاعشاب ، ويراعي بعض التدبيرات الطبية الخالصة . وقد كان للموسيقى اثرها الرفيع كعلاج نفسي عند العرب ، لاعتقادهم بقوتها على التأثير في النفس والجسم . وقد ادرج ابو زيد البلخي (٣) في كتابه، مصالح الابدان والانفس ، بابا في الموسيقى ، ذكر فيه ان « السماع ليس هو من المصالح البدنية المحضة ، بل هو بأن يقع في مصالح الانفس اولى منه بأن يقع في مصالح الابدان ، على انه وان كان ابلغ تأثيره في النفس ، فليس يخلو من ان يكون له في مصالح الابدان ومنافعها حظ وافر ... »

« وقد جرت العادات ، عند كثير من الاطباء ، في مداواة كثير من الاعلاء باسماعهم اصواتا لذيذة ، كانت تقوى منتهم ، وتطيب نفوسهم ، وتخفف عليهم آلام العلل والاسقام » . كذلك لم تغب عن العرب ، اهمية اعتقاد المريض بشفائه ، وطلبه لهذا الشفاء ، بصميم ارادته ، وابعاد كل ضباب اليأس وخطره عن ساحة نفسه ، الامر الذي اكده المسعودي (٤) في مروج الذهب ، حين ذكر ان طبيبا توصل الى شفاء فضل بن يحيي البرمكي ، الذي جلد في السجن مائتي جلدة ، واشرف على الموت ، بأن زعم ان جسم فضل بن يحيي ، لا يحمل في الواقع ، سوى اثر خمسين سوطا فقط .. ولم يزل يردد هذا الزعم على سمع المريض ، حتى شفي ، وكان يردد : انما « قلت له ذلك لكي تقوى نفسه فيعينني هذا على علاجه وشفائه .. » .

وذكر ابن ابي اصيبعة ، في عيون الانباء (٥) ، في نفس المجال ، ان « بعض التجار كان في بعض اسفاره في مغارة ومعه رفقة له . فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس . فخرجت حية من بعض النواحي ، وصادفت رجله فنهشته فيها وذهبت . وانتبه مرعوبا من الالم ، وبقي يمسك رجله ويتأوه منها » . فاوحى له بعضهم ليزيل عنه الفزع ، وقال له فيما قال علاجا له : « ما عليك : انك مددت رجلك بسرعة ، وقد صادفت رجلك شوكة ، في هذا الموضوع الذي يوجعك » واظهر له أنه اخرج الشوكة وقال له « ما بقى عليك بأس » وسكن اله عندما تأهب هو ورفاقه للرحيل ... ومضت شهور ، فلما كان ذلك المصاب في نفس الموضع ، لبعض اعمال تجارية ، اعترضه احد الناس وعرفه فأخبره بما كان حدث له من الحية . وقال له فيما قال ، ان حية نهشتك في رجلك . وعندئذ اصابه الفزع ، وسرى في جسده خوف ، واعترته غصة شديدة ، فغشى عليه وما لبث ان مات بعد ايام ...

وقد عرف العرب العلاج بالوهم ، على اساس ان يتظاهر الطبيب بتصديق اوهام المريض الباطلة ، حتى يجد حيلة لازالتها ، يؤيد هذا ما رواه الرهاوي في كتابه ادب الطبيب (٦) ، ان رجلا توهم انه قد بلع حية ، فعولج بكل دواء ، فلم ينجع فيه ، فلما وقف الطبيب على خبره ، سأله : هل تعرف لون تلك الحية ، فقال نعم كما اعرف مقدارها كذا وكذا . وعندئذ دبر الطبيب حيلة سرية فكلف من يثق به باصطياد مثل هذه الحية ، في لونها وحجمها ، واخفاها في مكان خاص لا يراه المريض .. وذات صباح سقى مريضه دواء ، ثم شد عينيه وغطاهما ليخرج الحية من جوفه رويدا رويدا ، بتأثير الدواء ، واصوات الناس من حوله بالغناء والضجيج الرتيب . ومرت دقائق رهيبة قبل ان ينزع رباط عينيه ويهتف بمريضه .. ها هي .. هذه هي

---

١ و٢ – ابن سينا : الشفاء ، ٢٠٩ .

٣ – البلخي ت ٣٢٢ هـ : مصالح الابدان والانفس ٨٧ ب مخطوطة رقم ٣٧٤٠ دار الكتب المصرية .

٤ – المسعودي : مروج الذهب ٦ / ٤١٠ – ٤١١ .

٥ – ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ٢ / ٨٨ – ٩٠ .

٦ – الرهاوي : ادب الطبيب ١٠٥ – ١١٠ .

تعالي

★

مضيت الى الامس أطوي الليالي ... وارنو الى غاليات الذكر
فطالعني كالصباح المنور ... وجهك من بين شتى الصور
وفي حاضري كلما التقي ... بحسن ارى لك حسنا أغر
لدن ذاب رسمك في خاطري ... تراءيت لي في ثنايا البصر
وفي آجلي من وراء الغيوب ... أراك تطلين دون البشر
تعالي من الامس واليوم والغد ... أنت المنى والهوى المدخر
على شفتيك ابتسام الحياء ... بدا كالبنفسج بين الزهر
وفي ناظريك امتثال العزيز ... فان شاء أدنى اليه القمر
وبي مثل ما بك من لهفة ... كأنا على موعد منتظر
تعالي الى الشط في زورق ... تهدهده هينمات السحر
حنيني الى موعد ظامىء ... فيا ما انتظر ويا ما انتظر
لئن كان ما بيننا صبوة ... ففيم الدلال ، وفيم الحذر

القاهرة

أحمد عبد المجيد

الحية التي ابتلعتها بعينها .. وبرىء المريض عن طريق الوهم .

ومن الواضح ان التوهم المذكور وما جرى مجراه ، كان دليلا عند العرب على المالنخوليا ، ولذلك يعقب الرهاوي، على هذه الواقعة بقوله ، وقد جرى لجالينوس ولغيره امثال ذلك كثيرا مع قوم من اصحاب المالنخوليا ، وغيرهم ممن تتنازعهم المرعبات والمفزعات . وقد ذكر عمران بن اسحق طبيب الملك زياد الله الاغلبي في مدينة قيروان ، ضمن كتابه « في المالنخوليا » الذي ترجم الى اللاتينية في العصور الوسطى ، وكان له اثره الكبير على الطب الاوربي ، ذكر انه رأى رجلا في القيروان ، يعتقد انه لا رأس له ... وعندئذ عمد الى حيلة ، خلاصتها : انه جاء بمادة من الرصاص وصنعها على هيئة قلنسوة ، ثم وضعها على رأسه كالخوذة .. وعندئذ صح عند المريض القيرواني ، ان له رأسا حقا وصدقا .. (٧)

كما عرف العرب العلاج بالتهويل والتخويف ، وبخاصة في موقف المفاجأة التي تعتمد على الاثارة العنيفة، تلك التي تشبه الصدمة الكهربية الى حد كبير . ومن ذلك انه كانت هناك جارية عزيزة على هرون الرشيد ، (تمطت يوما ورفعت ساعدها فبقيت مبسوطة ، واصابها ما يشبه الفالج) . وعندئذ طلب هرون الرشيد طبيبه جبرائيل بن بختيشوع ، ورجاه ان يحاول شفاءها من دائها . ورأى الطبيب ان شفاءها لن يكون الا في محضر الرشيد ، وفي جلسة علنية ، واحضرت الجارية المفلوجة وهي تتعثر ، حتى اذا قربت من المجلس ، اسرع الطبيب نحوها ثم انحنى وانحنى كأنه يريد ان يكشف عن ساقيها . وفزعت الجارية ، وارتدت عنه في حياء وفزع ، فاسترسلت اعضاؤها وشفيت مما بها .. (٨)

ويمكن القول بأن الطب النفسي عند العرب قد تأثر احيانا بالطب اليوناني ، وبخاصة طب جالينوس ، الا انه خالفه في بعض المبادىء والوسائل ، وبخاصة في رفضه لتجنب الملذات ، ودعوته لامتاع الحواس ، على اعتدال وعدالة ، تفرحة للنفس (٩) ، وبعثا لها على التفاؤل والحياة الموفورة .

الخرطوم ـ جامعة القاهرة

عبد القادر محمود

٧ ـ المصادر السابقة .

٨ و ٩ ـ عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ ـ ١٢٧ .



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

•

هموم الشباب ..

لقيته في فيلته الانيقة ، بضاحية مصر الجديدة ، بعد اكثر من اربعين عاما ، منذ افتراقنا للمرة الاخيرة .. ولو أننا كنا نلتقي لماما ، في عرض الطريق ، فنتذاكر في كلمات عابرة ، ذكريات ذلك الماضي الجميل ، وهو يتباعد بمرور الايام ..

كان الاستاذ المستشار عبد السلام عباس المكاوي ، هو زميلي في الشعر والادب ، في مطالع الشباب ، حين التقينا طلابا في مدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة .. فتعارفنا ، وتطارحنا الشعر ، في رسائل في العام الذي تلا تخرجنا من المدرسة ، هو بكلية الحقوق ، وانا بمدرسة التجارة العليا ، حيث قضيت فترة قصيرة لم اوفق فيها — ومن هنا كانت قصائد شكوى الزمان — ثم تحولت بعدها سريعا الى كلية الآداب ، حيث اتممت دراستي بها ..

وفي لقائنا الاخير ، في فيلته الانيقة .. الذي امتد الى جلستين ، كل منهما تزيد على الساعتين .. تذاكرنا ذلك الماضي الجميل .. وبين اللقائين سافر الى بلدته القريبة من الجيزة ، فبحث في اوراقه القديمة التي كان يحتفظ بينها ، بمطارحاتنا الشعرية في ذلك الحين .. ثم عاد الي بمجموعة طيبة منها .. هذه المطارحات ، التي فقدتها للاسف من بين اوراقي ، في تنقلاتي واسفاري ، مع بعض ما فقدت غيرها .. فكان له في ذلك فضل المحافظ الواعي ، على تراث له قيمته الحقيقية في الادب ، الى جانب قيمته التذكارية بين صديقين ، كانت تشغلهما الى حد كبير ، غيوب المستقبل ، وهموم الشباب ..

والذي عجبت له حقا ، ان هذا الشعر ، الذي قيل خلال عام ١٩٣١ .. وكانت سني يومئذ حول التاسعة عشرة ، وكان صديقي يقاربني في تلك السن ، مع زيادة عام او عامين .. كان في الواقع شعرا قويا جدا .. مليئا بالعاطفة الجياشة الصادقة ، والمعاني العميقة والمبتكرة .. وكان شعرا يتميز بالاصالة ، وان كان يحمل الكثير من التأثر بالشعر القديم ، الذي كنا حديثي عهد به في المدرسة الثانوية ، والذي كنا معا شديدي الاعجاب به الى حد بعيد ..

وهم السمات التي تميز بها شعر هذه الفترة .. الى جانب شكوى الزمان ، هي سمة الغزل الرقيق ، الصادق .. هذا الغزل الذي كان احيانا يتابع النسيب الذي يفتتح به الشعراء الجاهليون قصائدهم .. كما كان يعبر احيانا اخرى عن طرف مما كنا نحس ونحن شباب من عاطفة جديدة ، تطرق على استحياء .. ابواب الحب ...

كان صديقي خلال الجلستين هو الذي يقرا خطاباتي وخطاباته .. وكنت في مجلس المستمع له ، الناقد لما اسمعه من شعري وشعره على السواء .. الضاحك للمفارقات العجيبة .. المتعجب للمعاني والعبارات الرصينة .. المتأثر بذكريات مضت ، لشباب متطلع الى المجد ، هيهات ان يعود !

واني اروي هنا بعض هذا الشعر .. بل بعض المختارات المناسبة منه .. متدرجا مع هذه الرسائل تدرجا تاريخيا ، قدر الامكان ..

كتبت له رسالة اقول فيها :

ذكرت سليمى، والهوى ساعةالبين ... فما سلمت من فيض مدمعها عيني
ذكرت اويقات لديهـا سعيـدة ... رشفت بها من لذة القربوالحسن
سلاف اذا سالت حديثا أحبـه ... رضاب اذا مالت علي.. فحيتني
وما كنت ادري ما هو الحب قبلها ... فلما رأتني خالي القلب.. أغوتني

ثم قلت :

سلام على عبد السلام .. فانه ... جدير به .. ما دام يسالكم عني
صداقة هذا الشعر اقوى رباطة ... وادوم اعمارا ، وابعد عن شين
فلا تسقني الا من الشعر منهـلا ... ولا تمش بي في الارض الا علىهون

وما هي الا ايام حتى جاءني الرد من الصديق الشاعر .. تربو ابياته على ابياتي بعض الشيء .. وتبدو فيه فخامة الطبع واصالته واضحتين .. بداه بقوله :

بكتشجنا لبنى.. فزاد البكا حزني ... وطاوعني دمع جرى، هد من ركني
وركني صليب في الحوادث أيـد ... فلما دهاه الحب امسى اخا وهن
ودمـع للبنـى وهـو در منفـد ... خليق بان يبقى بحرز، وفي صون

ثم قال بعد ذلك منتقلا من الغزل الى غرض آخر من رسالته :

فما زال يومي مثل امسي صبابة   وما زلت في عصف المحبة كالغصن
واني لطيف منك اشكو له الجوى   وكيف وقد عز المنام على جفني
ولولاك لم تأت القوافي ذليلة   ولولاك رصد النجم ما كان من شاني
وما كنت ارجو ان اقصر في الهوى   وانت ملاك في الملاحة والحسن
ولكنه حب كحبك .. عامر ..   عزيز على نفسي ، مقيم على رهن

ثم قال مقتبسا شطرا من نونية البارودي

صداقة اعوام هي الدهر كله   (محاسنه كالروض في صبحة الدجن)

ثم قال متفضلا :

وما زلت في حبي لعامر .. حافظا   على كل حال، في المقام او الظعن
واني امرؤ ان عرنني مثل ذرة   صداقة ود .. كلت منها وباليمن
ادين له بالحب والشوق والندى   وغير كريم من تلاعب بالدين
وارسلت لي بالامس خير رسالة   ألذ من السلوى واحلى من المن
قصيدة شعر صاغها خير صائغ   من الدر والياقوت والفن والحسن

ولعلي احسست بعد هذه القصيدة الرائعة ، ان الزميل قد تفوق في الحلبة ، وعز علي ذلك .. فعدت الى مراسلته بقصيدة من الوزن والقافية مرة اخرى .. وليس هذا معهودا في المساجلات الشعرية .. ولكني على اية حال .. كتبت قصيدة اطول ، لعلها تكمل النقص في القصيدة الاولى .. وهذه ابيات منها :

للبنى وسلمى كل نفسي بلا مين   سواء صباحي في المحبة او وهني
وما انا الا صادق جد صادق   وشمس الضحى والفجر والانس والجن
وما حب لبنى او سلمى بمنكر   وقد فاض فيه الدمع كالعارض الهتن

ثم قلت فيما يتصل بالشعر ، وقد اطلقت على صاحبي لقبا هو « شاعر العبقرية » .. فقلت :

وما الشعر الا العبقرية والنهى   وكيف تظن الشعر يدرك بالوزن
هو الروح او للروح فيه نصيبها   هو النفس نفسي ابصرت فيه ما يغني

ثم قلت متلاحبا .. في تأثر بمبالغات المتنبي الذي كنت اقرؤه يومئذ ، دون ان ادرك عينا من منزلته :

ولي صاحب في الشعر كنا نقوله   فيأتي ذلول القيد منسجم الفن
سمعت له ابيات شعر رقيقة   كاني عند السمع.. اجلس في اذني

وبعد ابيات طويلة ختمت بقولي :

سلام على عهد وان هو لم يطل   عليه المدى القاه ابعد من قرن
فلا أنا مخدوع ، ولا انا خادع   ولا انا عن عبد السلام.. بمستغن
ولكنه نفث من السحر صادق   ومن قبل كان السحر.. معجز فرعون

وفي المرة التالية تلقف الصديق حبل المراسلة .. فروسية منه .. وشوقا الى المنازلة .. وكم كنت سعيدا برسالته تلك .. وفيها يطلب الي ان (اواظب) على هذه المراسلات ، ويطلق علي لقبا ايضا هو « شاعر القطرين » .. فيقول :

الى شاعر القطرين.. سامي المناقب   كريم السجايا ، اريحي الجوانب
تحيات اشواق اذا ما نظمتها   شذا المسك في بطن الثمار الاطايب
تحيات اخلاص.. صديقك حاكها   تنم عن المعروف من كل جانب

ثم كان لا بد ان ينتقل الى الغزل .. فقال :

فكم من غوان قد ودنن عقودها   على جيدهن البض تزهو وكاعب
واذرين دمعا كي ينلن مثيلها   ودمع الغواني في الهوى غير كاذب

وكنا في شهر الصوم .. فرأى بعد ابيات من شكوى الزمان ، ان يعبر عن عدم تقصيره في تأخير الاجابة .. ويطلب الغفران في شهر الغفران .. فيقول :

ولكنها اشجان نفس تقاذفت   بهن ليال ، افعمت بالنوائب
فما انقشعت الا وبادرت بالذي   أراه على نفسي كواجب واجب
فان تغتفر ذنبي.. اذا كنت مذنبا   شكرت بقلبي للصنيع وقالبي
فعفوك منظور ، وبحرك زاخر   وحلمك موفور ، وليس بذاهب
وانا لفي شهر المثوبة .. راهن   فصم عن ملاماتي.. ببذل المثاوب
ودع عنك عتبا لا يضيرك تركه   وان كان عتب منك صافي المشارب
ولا تعدد الهفوات عد محاسب   ولا تلحظ الزلات لحظ المراقب
فاني أخوك الخدن كلي امانة   وما بي من شك ، وعيب لعائب
فجد لي بشعر يطرب النفس وقعه   سليم المعاني ، قد سما غير ناكب
هو السحر بالالباب يأخذ نفثه   هو الروض بالاسحار جزل المذاهب
ولا خير في شعر اذا لم يكن له   من الروح وحي كالنجوم الاشاهب
نشأت به والفر لاه بلهوه   وانت له نعم السديد المواهب
فكنت بحق عبقريا ، وعامرا   بفكر حصيف شامل الراي صائب
فيا عامر الاخلاص .. لا تك باخلا   علي، وعجل بالكتاب .. وواظب

وهيجت هذه القصيدة من اشجاني .. فكتبت اليه ردا .. كله عاطفة ومودة .. من قصيدة قلت في مطلعها :

ألا يا زمان الوصل، وصل الكواعب   رويدك ، ما هذا القلى بالمصاحب
تفرقنا والحب يجمع شملنا   ولم نجتمع لو عهدنا غير واصب
وكم ليلة قد (ناء) عني احبتي   ولا أنا ناء.. عن هواهم.. بجانبي
أبيت أقضي الليل الا أقله   أناجي، وما تجدي المناجات صاحبي
كأني اذا عددت ساعات هجره   اعود فيما للورى .. من مثالب

ثم قلت في تلك القصيدة :

اقيم على عهدي فيام محافظ   ولو لوحوا لي دونه بالمناصب
ولست بمستبق اخاك وحبه   اذا لم تكن في مرة غير عاتب
وما انا اقوال تقال .. وانما   خصال تراءى تحت ضوء التجارب

ثم قلت للصديق الشاعر :

فيا شاعرا للعبقرية شعره   يجو لنا بالدر ، بل بالكواكب
بحارك تجري بالكرامة والوفا   وبالشعر (فاسقى) منك اظما شارب
ابادلك في الشعر الكرامة والوفا   وشعرا قوي الصلب، غض الترائب
فانك تدري ما وفائي وصحبتي   وان معيني منهما غير ناضب

وذكرت انه حدثني عن شهر الصوم ، وطلب فيه المثوبة بترك المعاتبة .. فقلت :

اذا كان شهر الصوم، فالفطر بعده   وصومي عن لومي لكم صوم راتب
فصم بسرور ، ثم افطر بمثله   لمن لا يرد العفو عن كل تائب
ولا تنس عهدا بالسعيدية.. انقضى   وكان سعيدا .. فانقضى غير آيب
سأصبر حتى يجمع الدهر شملنا   ويصرف عني شقوتي ومتاعبي
وارسل من شعري بلا بخل به   فشعري عني عندكم خير نائب

ثم تأتي قصيدة اخرى ، اظنها تلي الاولى في التاريخ .. ولست ادري لماذا بدات هذه المرة .. وكان الصحيح ان انتظر .. وهي تحمل شيئا من هموم الشباب .. وقد قدمت للشعر فيها بكلمات قلت فيها :

« عليك سلام مشتاق ، وراغب في تلاق ، فحتى الشعر لم يسعف ، ومن شديد الفراق لم يخفف ! »

ثم قلت :

اخا الشعر قد ضاق المجال بقوله   وضاق مجال النفس من كل ناظم
اذا امتحن الضرغام احداث دهره   فأحداث هذا الدهر دون الضراغم
فما انهد من اركانه مثل جازع   ولا اشتد من بنيانه مثل كاظم
وما نكبات الدهر مذكور حادث   اذا كنت في لقيانها جد حازم

وهي ابيات تظهر فيها شكوى الزمان .. ولكن

البحر يجري بعد ذلك منطلقا هينا .. يروي قصة غزل جديد .. فيقول :

اذا طال سهد النجم سحت دموعنا ... ونبه منا القلب طيب النواسم
وحرك منا النفس او هيج البكا ... تخيل ثغر .. للاحبة .. باسم
وذكرنا بالعامرية .. ساعة ... فذكرنا شيئا كاحلام نائم

ثم يقول :

ورب قوام قد ذهلنا بحسنه ... (وفرح يفشي المتن أسود فاحم)
هنالك افراح الحياة ونورها ... وحظ مصل.. في الغرام.. وصائم
حدائق يغشاها الهوى ذات بهجة ... توهمتها ، أم زرتها غير واهم

ثم يمضي في شكوى الزمان ، فيقول :

فمن لي بحظ الناعمين بجنة ... يقيمون في ظل من الحسن دائم
بحال عليها يحسد المرء نفسه .. ... وبال كبال العامرية .. ناعم
سيندب عنا الدهر غالي شبابنا ... اذا ضاع منا بين شاك ونادم
نعمر عمر الورد .. وهو دقائق ... وتقطفنا الايام قبل المواسم

والقصيدة بعد ذلك طويلة ، مفرطة الطول ، لانها بلغت واحدا وخمسين بيتا ..

وتفضل الصديق الشاعر .. فبعث برده على هذه القصيدة .. كعادته من الروعة والجزالة .. فقال :

لعمرك قد هيجتني بالعظائم ... واي عظيم مثل نوح الاكارم
لياليهم شكوى طويل .. وامرهم ... عن الناس محجوب الدموع السواجم
نجوم لياليهم شهود على الضنى ... ودمع مآقيهم سكوب الغمائم
ينوء بهم عند النوائب كلكل ... فلا جزع غير الثغور البواسم
يضيئون ان كانوا يحفون مجلسا ... ويقضون في داجي الليالي العوائم
حديثهم السحر الحلال تخاله ... شذا المسك ان فاهوا به كالبلاسم

ومضى بذكر الايام الماضية ، واصدقاء الشباب .. فقال :

رأيت قلوب الاكرمين كبيرة ... وما خاب ذو قلب قوي الدعائم
وما خاب ذو قلب طموح الى العلى ... لدى الخير والمعروف ناو ، وجائم
فلله عهد قد قطعناه بالمنى ... رقيق الحواشي ، زاهيا بالنعائم
ليالي مذ كنا نسرح طرفنا ... فبين جميل ، او طريف ملازم
وبين نديم نستحث حديثه ... وبين اخلاء .. مقيم ، وقادم

ولا تخلو قصيدة من طرق باب الغزل .. فيذكر طرفا مما تركه في نفسه .. فيقول :

وقد كان عهدي بالحياة رخيصة ... وقد كان عهدي بالشباب مسالمي
فمن كاعب تعتز بين ترائب ... تسائل عني رغم لوم اللوائم
وكم نافست اخرى على ترائبنا ... فامسين من بعد الرضى في تخاصم
يثرن لدى نفسي كوامن حبها ... بكل علامات الهوى .. والمياسم

ويختم هذه الرسالة بقوله :

وانت اخو فضل.. بلوتك..عامر ... وانك في نفسي وقلبي وعالمي
أعامر .. هذا الشعر ازهار روضة ... (توهمتها ، أم زرتها غير واهم)

جرت كل هذه القصائد في البحر الطويل .. لفخامته ، واتساعه لما تقتضيه المعاني المتبادلة بين صديقين ، ولقرب عهدنا بالشعر الجاهلي .. ولكني استشعرت بعض الملل ، من متابعة الكتابة في ذات البحر ، واحسست ضرورة التخفيف بالالتجاء الى بحور قصيرة او مجزوءة .. فكان مجزوء الكامل هو البحر المختار .. كان ذلك في اواخر الصيف من عام ١٩٣١ .. وكنت وصديقي قد عقدنا العزم على انشاء جمعية ادبية تسمى « جمعية الثقافة » .. يشاركنا فيها صفوة من زملائنا في تلك الفترة .. ولكن العقبات حالت دون اتمام مشروعنا الاول ، الذي كانت هذه القصائد فيما اظن بعض مظاهره .. ولذلك كتبت للصديق في اوائل سبتمبر هذه القصيدة الجديدة .. فقلت :

ذهب الربيع .. فمن يعيده ... فتعود تنعشنا وروده
ان الربيع هو الحيا ... ة .. اذا أصاب فتى سعوده
ان الربيع هو الجما ... ل .. لشادن قد ماس عوده
يحيي القلوب وصاله ... ويكاد يقتلها صدوده
وتكاد تجرحها لوا ... حظه .. وتأسرها خدوده
ان القلوب ضعيفة ... والحب تأسرها قيوده
وكذا الضعيف .. على ممر الدهر .. تهمته وجوده

ثم انتقلت من الغزل ، الى ذكر الممدوح .. كما هي عادة القدماء .. فقلت :

فدع الهوى فقليله ... يسر ، واعسره عديده
ودع الهوى فقريبه ... مر ، واحلاه بعيده
فدع الهوى .. فخليه ... حر .. وسادته عبيده
واقصد الى عبد السلا ... م .. فذاك خير فتى تريده
خير الرفاق فتى اذا ... عاهدته بقيت عهوده
وحفظتما وديكما ... والخل أصدقه ودوده

ثم رحت اهنئه بالنجاح فقلت :

اني اتيت مهنئا ... حيث النجاح أتى بريده
قد مر بي مر الصبا ... ح، وطيف سحر استعيده
طيف الخليل وذكره ... والذكر أسعده سعيده
صعدت به درج الكما ... ل، وماتمن غيظ حسوده
وكذا ينال مراده ... رجل تسابقه جهوده

وانتقلت الى شكوى الزمان ، فقلت :

انا في الزمان تنوبني ... نوب ، وتخطئني وعوده
لو انها صبت على ... جبل لما فتئت تميده
زادت على حد لها ... والشيء أقصاه حدوده

ثم حدثت صديقي عن مشروع « جمعية الثقافة » ، وما كنا نلاقيه من صعوبات في تأليفها ، واهم تلك الصعوبات ، انصراف الشباب الى اللهو ، وعدم اهتمامه بجد الامور .. فقلت :

عبد السلام .. اخا الثقا ... فة ، أنت تعلم ما أريده
أتريد ان تدعى الزعيم .. بغير جمهور تقوده
أتريد نشر ثقافة ... في غير مستمع تفيده
أتريد تخطب في الهوا ... ء .. كقائد ولت جنوده
ماذا تريد .. وما الذي ... تبدي أخي .. وما تعيده

ثم ختمت بتشجيعه على ملاقاة الصعاب ، حتى تتحقق لنا بالتعاون الآمال الكبار .. فقلت :

اعمل ، واني عامل ... معك الذي نسعى نشيده
فلعلنا نبقي لنا ... ذكرا ، فينفعنا خلوده
ان الحياة قصيرة ... والمرء آخره رقوده
فاذكر أخاك بآية ... من شعرك الراقي قصيده
ولقد علمت بانه ... ما أخرت يوما ردوده
والله فعال اذا ... شاء الكريم لما يريده

وكما هي العادة تفضل الصديق ، الشاعر عبد السلام عباس المكاوي .. فكتب ردا بليغا على هذه القصيدة ، من بحرها وقافيتها .. مستجيبا لهذا الانتقال المستحب من بحر الطويل الى مجزوء الكامل

فقال :

الليل تأسرني بنوده   والفجر يطربني نشيده
والروض تشجيني نوا   ئحه .. وتبهرني بروده
والطير في ساجي الصبا   ح يهزني شوقا قصيده
تحنان ساجعة الحما   ئم فوق أيك .. هل تعيده
فتعيد لي ذكرى الحبيب .. وذكر وصل تستعيده
كلا .. فذكرك ماثل   وقديمه عندي جديده
لا اللوم يفنى حبه   كلا ، ولا السلوى تفيده
ان المحب بحقه   يشقى ، وتشقيه وعوده
لكن يرق لمن أتى   يحنو عليه ولا يزيده
كالطل ندى ذابل الا   زهار .. فادهرت عقوده

ثم ينتقل بعد ذلك الى حديث الحب ، ومنه الحب الصادق القائم بين اخوين مخلصين .. فيقول :

أنا في الغرام شقيه   وسواي تغمره سعوده
أنا في الغرام أسيره   والقلب قدته قيوده
أنا في الغرام شهيده   برضى، وان ظلمتني غيده
ان الغرام عذابه   عذب، وان جارت صدوده
لا سيما حبا .. تؤيده الاخوة ، أو تشيده
والمرء اثنان .. فتى   زين ، ومن ثارت حقوده
زين كجسم النور في الاخلاص .. لا تبلى عهوده
هو (عامر) في كل ما   يرضيك عند أخ فريده
حلو الحديث فتى اذا   أشجاك يوما تستزيده
يهنيك منه صداقة   قد عز في الدنيا نديده
وتفيض في جنباته   غرر ، ومن طيب صعيده
أنا ان ذكرت فضائلا   أخشى يساورني جحوده
ولقد أتاني مهنئا   نجحي فاسقته رعوده
نعم التهاني زفها   اغنتاذا استعصى وفوده
دين علي سداده   والله يعلم ما اريده

ثم يتحدث عن مشروع جمعية الثقافة .. ويرى فيما قلته لوما له ، في محاولة لا نعرف غايتها .. فيقول :

ماذا جنيت أخي .. أتيت بلومك القاسي وروده
لم اقترف ادا .. ولا   أنا في تسنمه عنيده
اني فتى الامه   آماله .. ولها جهوده
ما رمت غير (ثقافة)   في كل فن نستفيده
نحيي بها آدابنا   والعزم يحييه صموده
وتضم اخواننا جها   بذة .. وكل فتى رشيده
لكنها وئدت ... ولما يستقيم للدهر عوده
لم تلق تشجيعا ولا   أرضا لتنبت ما تجيده
اني بلوت صحابة   فقريبهم ابدا بعيده
والعزم تكسبه النجا   ح يد الجماعة..او تفيده
عزم كعزمك لا أرى   يأسا يحوم او يسوده

ثم يؤكد عزمه مرة اخرى ، متضافرا وصاحبه في انجاح المشروع الثقافي المنتظر .. ويختم بذلك القصيدة فيقول :

لم يثنني خلف ، ولا   يأس يخامرني شهوده
رغم الحوادث أيد   عن عزمه حاشا تحيده
ها هي يدي لك ساعد   انت الصديق زكت عهوده

وبهذه الابيات تنتهي هذه الرسالة القيمة .. ولكن الصديق الشاعر ، اعطاني فوق ذلك ثلاث قصائد اخرى ارسلتها اليه .. احداها قصيدة تأخرت في ارسالها ، فأضفت اليها ثانية قصيرة ولكنها قوية ، جعلت موضوعها الاعتذار عن ذلك التأخير .. ثم تطرقت الى احاديث اخرى .. اما الثالثة والاخيرة ، فشرحت فيها قصة حب لي ، مبكرة ، كنت قد نسيتها تماما .. وان كنت قد سررت غاية السرور ، لعثوري على القصيدة .. وكذلك القصيدة الاولى ، فقد كنت رغم نسياني لهما ، اذكر مطلع كل منهما .. واجده يؤدي معنى خاصا ، واتجاها في الشعر معينا .. فالاولى مطلعها يشتمل على الغزل ، فيقول :

على رسلها في الحب ذات الغدائر   فقد ملكت نفسي، وجالت بخاطرى

والثانية مطلعها يشير الى شدة تمسكي بالقديم يومئذ ، واعتزازي به .. فيقول :

دمن بدارسها الفؤاد مشوق   مهما بلين .. فللقديم حقوق

واما قصيدة الاعتذار ، التي اضفتها الى الخطاب الاول .. فهي من ضروب الكامل .. ومطلعها :

طال الظلام ، ولم ير القمر   فلعله في الحق ينتظر !

وهذه القصائد الثلاث .. التي لم اتسلم عليها ردودا شعرية من الصديق ، لان النثر بيننا يومئذ طغى على الشعر .. بحاجة الى وقفة مستأنية ، عند كل منها .. ولذلك اتركها الى مقال آخر من مقالات هذا الحصاد الكثير .. الغزير ..

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

فراق

أحرقتها ... أحرقت أشعاري
وقطعتها .. أوتار قيثاري
ورسائلي .. تلك التي كتبت
أنكرتها .. ولعنت اصراري
مزقتها ... أبقيتها بددا
تمضي ، فلا أسف على الغار
هيفاء !.. امضي عن لظى غضبي
وتمرغي في بؤرة العار
أفسدت بالآثام قصتنا
ولهوت في أمسي ، وأخباري
لا تسأليني : أين موعدنا
فالليل مجدول باعصاري
اني مضيت .. بخافقي أمل
أمشي على أوهام تذكاري
ولأنت .. أنت فريسة بقيت
ما بين أنياب .. وأظفار

محمد زين جابر

اقرأ الاحزان في عينيك

نـوال يـونـان

حزينة عيناك .. يا صديقي !
تلهث أنفاسك الهموم
فتحرقنـــي ..
وجيعة آهاتك في كبدي !
ما عودتني قراءة الاحزان في عينيك
ولا أحسست أنفاسك
الا مبلسمة للجراح ..
تعودتك .. تمخر عباب أحزاني
فتعصف بها .. فتتبدد ..
وما لي أشعر ، اليوم
وكأنك تنفث احزان الدنيا
فــي نفسي
فتعتصر قلبي ..

في يوم من الايام
نزف قلبي حتى الموت ..
فتمنيت الموت ، على قدميه (...)

وفي هذا المساء ..
وللمـرة الثانية
تمنيت لو لم تلدني امي ..

لا يــا صديقي
لا يثيرن كلامي حنانك
كلامي .. دون ما اشعر ..
لن اكون ، بعد اليوم
شوكة في ضميرك ،
تعذبك .. وتؤلمك !

أريـد كلامي خنجرا
يقطع الخيط الذي يصلني بك
لن اسمح للاحزان
ولا لساكبة الاحزان ،
ان تعبر ، يوما ، في خاطرك .

لا تعتذر ، يا صديقي
قبلت اعتذارك ، قبل الاعتذار
وحتى ، لو لم تعتذر الي
سأحرص ، كما تحب
ألا أضعك ، بعد ، في موضع الاعتذار !
لئلا اقرأ الاحزان في عينيك !
سأعود ، كما تمنيت بالامس
غيمة صيفية
لا تسقط امطارا
ولا تبلـل جفافا !!



عبد العليم القباني

سليم حموي

رائد الصحافة العربية بالاسكندرية

بمناسبة مرور مئة عام على انشاء الصحافة العربية بالاسكندرية

بقلم عبد العليم القباني

* * *

ما ان اقترب القرن التاسع عشر من اشراقة الضحى ، حتى استيقظت « الاسكندرية » * ونفضت عنها خمول نومة طالت ثلاثة قرون او تزيد ...

وكانت يقظتها هذه نتيجة لمجموعة من العوامل التي توالت تباعا ، ومن ثم انطلقت المدينة في سباق مع الزمن، لتدرك مسيرة الحضارة في العالم ، وكانت قد تجاوزتها بشوط بعيد ...

ولعل ابرز هذه العوامل شق ترعة « المحمودية » وانشاء الميناء الغربي الكبير واقامة دور الصناعة المدنية والعسكرية ، وانشاء شركات الملاحة بقسميها النهري والبحري ، واتاحة الفرص العديدة ، لبيوت المال الاجنبية ، لاستغلال اموالها في التجارة والصناعة ، واهتمام الدولة بشق الطرق العامة والشوارع الجديدة ، والميادين الواسعة ، ومد الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية ، وما تبع ذلك كله ، وبسببه ، من رواج اقتصادي ، شارك في الرواج الذي احدثته زراعة القطن وتجارته ، وقد بلغا أتمة وقتئذ بسبب توقف الانتاج الاميركي .

كل ذلك كان سببا مباشرا في تدفق الالوف من الناس ، من خارج القطر ومن داخله ، على المدينة المفتحة الابواب ، حتى ارتفع عدد سكانها ، من ثمانية آلاف في بداية القرن المذكور الى اكثر من مائة وخمسين الفا على مدى نصف قرن من الزمان (١) .

وكان من بين هؤلاء الوافدين ، اعداد كبيرة من اشقائنا « ابناء الشام » وبخاصة من اللبنانيين الذين يحسنون - بطبيعتهم - السباحة في مثل هذا البحر ، ولم تكن وفادتهم هذه بجديدة علينا ، فان الصلة بيننا وبينهم ، تضرب بجذورها في اعماق التاريخ لكن هذه الفرص ، زادتهم اغراء بالحضور لاغتنامها ، وابرزت لهم من الوسائل ما يسهل بها الوصول الى اهدافهم ، التي منها الكسب الوفير ، وبالتالي المعيشة المرفهة ، ومن ثم أقبلوا افواجا ، وفي حقائبهم مشاريع عديدة ، تعين كلها على الاثراء والافادة من هذه السوق التي لا تخضع لكثير من القيود التي تفرضها القوانين على امثالها .. وليس من شأننا - هنا - ان نتحدث بتوسع عن وجوه النشاط الاقتصادي او الاجتماعي التي اسهم فيها الاخوة ابناء الشام بالاسكندرية في ذلك الوقت ، اذ ان الحديث هنا قاصر على ريادة « سليم حموي » للصحافة بها ، ولذلك نكتفي بهذه الاشارة (٢) .

ولقد كان لبعض هؤلاء الاخوة سابق معرفة بالصحافة ، فمن المعروف ان الصحافة العربية - غير الرسمية - صدرت في بيروت قبل القاهرة ببضعة اعوام، ممثلة في جريدة « حديقة الاخبار » التي اصدرها « خليل الخوري » سنة ١٨٥٨ و « نفير سوريا » « لبطرس البستاني » ١٨٦٠ . ومن هنا فكر بعض اصحاب الميول الصحفية منهم بالاسكندرية في غرس بذور الصحافة بها ... ولم تكن « القاهرة » وقتئذ قد سبقتها بكثير ، اذا استثنينا جرائد « الحملة الفرنسية » وقد كانت موقوتة بها ، واستثنينا الوقائع المصرية ١٨٢٨ وهي جريدة الدولة الرسمية و « الجورنال الجمعي » ١٨٤٩ وهو نشرة رسمية انتهت بموت « ابراهيم باشا » و « الصحيفة العسكرية » ١٨٦٥ ولاسمها دلالة عليها ، ومجلة « اركان حرب الجيش » ١٨٧٣ وهي كسابقتها ومجلة « يعسوب الطب » ١٨٦٣ وهي طبية خالصة ، اذا استثنينا هؤلاء ، نجد ان القاهرة سبقت الاسكندرية بجريدة « وادي النيل » القديمة ١٨٦٧ وكان محررها « عبد الله ابو السعود » من كبار المترجمين في عصره ، ثم « نزهة الافكار » ١٨٦٩ لابراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال ولم يصدر من هذه المجلة غير عددين واحتجبت ثم مجلة « النحلة الحرة » ١٨٧٠ ولم يصدر منها الا بضعة اعداد ثم رحل بها صاحبها « القس لويس صابونجي »

عزلة

أنا في صحبة العصافير
عصفور يناجي اترابه ويناغي
دارجات معا على مرجة
الدار بشتى الاشكال والاصباغ
أتراها من رفرف الخلد أرواح
صحابي قد اقبلت للتلاغي
مرحبا بالرفاق ما برحوا في
القلب مني بذكرهم والدماغ
حبذا عزلة تطيب بها النفس
وتفنى عن صحبة الرواغ
غمرتني بغبطة وسلام
وأمان من كل طاغ وباغ

غرنفيل ـ امريكا   نعمة الحاج

الى لندن ، واخيرا مجلة « روضة المدارس » ١٨٧٠ التي اصدرها « علي مبارك » وحررها « رفاعة رافع الطهطاوي » وابنه « علي فهمي » وهي من المجلات الادبية ذات المكانة في تاريخنا الصحفي .. (٣)

تلك هي الصحف التي صدرت بالقاهرة ، قبل ان تبدأ « الاسكندرية » مسيرتها الصحفية ويلاحظ ان خمسا منها ، تتسم بالطابع الرسمي والتخصصي ، واثنتين توقفتا عن المسير وهما في البداية ، واثنتين تستحقان ان توضعا في الحساب .

وكان ان اصدر « سليم الحموي » العدد الاول من اول جريدة سكندرية باسم « الكوكب الشرقي » في اليوم السادس من اغسطس ١٨٧٣ وهو اليوم الذي يمكن اعتباره تاريخا لمولد الصحافة العربية بالاسكندرية .

* فقرة من كتاب تحت الطبع للكاتب عن صحافة الاسكندرية .

١ ـ للتوسع راجع « لمحة من تاريخ مصر » لكلوت بك ترجمة محمد مسعود و « تقويم النيل » المجلد الثالث لامين سامي باشا والجزء السادس من « الخطط التوفيقية » لعلي مبارك باشا .

٢ ـ للتوسع راجع « السوريون في مصر » لالياس قرآلي و « السوريون في مصر » لالياس زاخورا .

٣ ـ للتوسع راجع « تاريخ الصحافة العربية » لفيليب طرازي و « تاريخ تكوين الصحف المصرية » لقسطاكي عطاره وفصل الصحافة من كتاب « الجيش المصري في القرن التاسع عشر » للدكتور محمد محمود السروجي .

٤ ـ ص ٢٤٧ ج ١ من « مصر في عصر اسماعيل » لالياس الايوبي

٥ ـ الوقائع المصرية في ٢٤ اكتوبر ١٨٧١ .

٦ ـ ديوان « القول الحقيق في رثاء الخديو توفيق » جمع عزيز زند .

٧ ـ ص ٢٦٢ من « تاريخ تكوين الصحف المصرية » لقسطاكي عطاره .

ونحن لا نعرف شيئا يمكن ان يكون فيه غناء ، عن هذه الصحيفة ، ولا عن النهج الذي سلكته ، اذ انها لم تعش الى الحد الذي يمكن الباحث من الحكم عليها ، كما لا يوجد بأي من مكتبات الاسكندرية الخاصة والعامة ، عدد واحد منها ، حتى يمكن استشفاف نهجها عن طريقه ...

والذي نعلمه عن « سليم الحموي » انه كان مواطنا من ابناء سوريا ـ ربما كان من « حماه » كما يشير الى ذلك لقبه ـ وانه اصاب شيئا من الثراء ، فقد حصل على لقب « باشا » فيما بعد (٤) كما انه كان مشجعا لذوي الميول الثقافية ، فقد انشأ مكتبة عامة بالاسكندرية والحق بها قاعة للمطالعة بترخيص من الحكومة (٥) وانه ـ فيما اخبرني به بعض المعمرين من ادباء المدينة ـ كان شاعرا ، وان له ديوانا مطبوعا ، وانا ، وان لم اطلع على هذا الديوان ـ الا اني قرأت له قصيدة من رثاء الخديوي « توفيق باشا » (٦) ...

ولعل هذه الميول ان تكون هي التي دفعته الى اصدار مجلة ادبية باسم « شعاع الكوكب » في نفس العام الذي اصدر فيه صحيفته اليومية « الكوكب الشرقي » ولكنها ما لبثت ان توقفت هي الاخرى بعد بضعة اعداد..

لكن الرجل لم يتوقف ، اذ عاوده حنينه الى الصحافة بعد اعوام خمسة ، فأصدر جريدته « الاسكندرية » التي عاونه فيها قريبه « عبده حموي » في يوليو سنة ١٨٧٨ لكنه ـ في هذه المرة ـ اتخذ لها نهجا سياسيا ، جر عليه بعض المتاعب ، فقد انتقد فيها بعض تصرفات « اسماعيل باشا » وكان الخديوي لا يطيق ذلك، فانذرتها الدولة ثم عطلتها شهرا ، ثم اوقفتها نهائيا ...

ومن المؤسف ، اننا لم نجد اثرا لاعداد هذه الصحيفة ، ولا تلخيصا شافيا لمحتوياتها في أي من المكتبات التي قصدناها ، ولا في أي مظنة خبر رجعنا اليها ...

ونعرف بعد ذلك ، ان « سليم حموي » انشأ جريدة يومية سياسية ادبية سنة ١٨٨٦ وانه اسماها « الفلاح » وانه اصدرها بالقاهرة (٧) ومعنى ذلك انه غادر الاسكندرية ، وانتقل الى العاصمة ...

ومهما يكن من شيء فان مبادرة هذا الرجل ، في ارتياد الحقل الصحافي بالمدينة ، واصراره على المضي في اداء رسالته لجديرة بتقديرنا له ، وبأن تدفعنا لان نوجه اليه تحيتنا بمناسبة ما يمكن ان نسميه بالعيد المئوي لانشاء الصحافة العربية بالاسكندرية .

تلك التي وضع نواتها ، يوم ان اطلع « الكوكب الشرقي » بسمائها في اليوم السادس من اغسطس ١٨٧٣ .

راجين ان نعرف المزيد عن هذا الرجل وعن جهوده، ممن يملكون هذا المزيد .

الاسكندرية   عبد العليم القباني

لم أتناول افطاري بعد .. فكرت وانا أمر امام مطعم ان اتناوله .. ما أصعب الاختيار ؟.. ما الذي يمكنني تناوله في هذا الصباح البارد ؟.. فـول وفلافـل .. — لكن — لا .. رغم اشتياقي فاني امقته من اعماقي .. فهـو عـدو « معدتي » اللدود .. كرهته الى حد السأم .. منذ متى ؟.. لا ادري .. ربما عام ، وربما عامين .. رغم اني كنت معتادا تناوله يوميا في الافطار .. الفته « معدتي » لفترة طويلة من الزمن .. والآن .. تأبى هضمه ..

تركت المطعم ورائي ، وانـا امني نفسي بافطار آخر ألـذ واشهى .. ثم .. — تذكرت — ان قرشا واحدا في جيبي .. والمبلغ « المحترم » .. ماذا لو اجلت ايداعه في « صندوق التوفير » الى الغد .. لكن لا .. لن اتوانى عن ايداعه اليوم .. بالامس كان معي نقود كثيرة .. كان بامكاني تناول أي افطار طيب تهـواه نفسي .. اما اليوم .. فكل مـا املكـه قرشا واحدا ، والمبلـغ « المحترم » .. خمسون جنيهـا في جيبـي .. شعرت بشعور الاغنياء .. الفخر .. كنت فخورا بأني غني .. في جيبي مبلغ « محترم » يسبـغ علـي مـن فضله احتراما وفضلا .. شعـرت بأني اسير فوق الطوارين لا طـوارا واحدا .. أسد الطريق على المارة .. فيفسحون لي .. رأسي تتساوى في رفعتها وشموخها مـع هامـات العمارات الشاهقة .. يدي فـي جيبي ، ولسان جيبي يعلن للعالـم اجمع عن ثرائي .. في جيبي مبلـغ « محترم » ..

جذبت انتباهي لافتـة صفـراء معلقة كتب عليهـا « كوردنـيري العائلات » حذائي مغبر بالتراب ، يحتاج الـى « تلميع » .. يقـول بعض اصدقائي « من حذائك تعرف شخصيتك » .. لمـاذا ينظـر اغلب الناس دائما الى السفح ؟.. لمـاذا لا يعرفون شخصيتي مـن هندسة شعري ؟.. او من وسامة وجهي ؟.. او من جمال طلعتي ؟.. او مـن حديثي ، وتصرفاتي ؟.. اعتدت ان اسير بحذاء لامع .. الناس يدلفون الى المحل .. تباطأت خطواتـي .. هممت بالدخـول .. فجـأة .. — تذكرت — ان معي قرشا واحدا ، والمبلـغ « المحترم » .. تراجعت خطواتي الى الوراء .. السير علـى الطوار لصق الجدران أسلـم .. والوصول الى الهدف مـن اقصر الطرق افضل ..

قرب مبنى « صندوق التوفير » .. توقفت .. ماذا لـو طالبنـي الموظف ببعض القروش تبرعا منـي للفقراء ؟.. « معونـة الشتاء » ..

الابيض والاسود

بقلم جمعه محمد جمعه

اربعة قـروش علـى الاقـل .. « للغلابـى » « والمساكين » .. عضت اسناني شفتي .. ما الحل؟. معي مبلـغ « محترم » سأودعه .. وليس في جيبي قروش قليلة حـق للفقراء والمساكين .. يا للتعساء .. ليس لهـم نصيب .. بأي وجـه سأنظر اليه ؟.. واين اجد المفر من نظراته ؟.. واية كلمة ترحمني من اصراره ؟..

شدتني « معدتي » الى الزجاجات البيضاء المرصوصة بعنايـة .. فاكتشفت اني اقف امام « بقال » .. « معدتي » اعلنت عن تبرمها ببعض التقلصات .. هكذا عودتها .. قال لي صديق في معرض حديثه عـن الغذاء الجيد .. « ان تناول اللبـن للكبار عديم الفائدة » .. لان فائدته الوحيدة تنمية العظام عند الاطفال والصبية » .. لمـاذا اذن اعتـاده الناس ؟.. الكبار قبل الصغار ..

تحسست المبلـغ « المحترم » ، وشعرت بالدفء يسري في اوصالي .. يسري من جيبي الى شراييني .. كأن قلبي قد ترك المهمة الـى المبلغ « المحترم » ليأخـذ قسطا مـن الراحة .. « القرش الابيض ينفـع في اليوم الاسود » .. حكمة قالهـا الاقدمون .. بـلا ارادة اخرجت القرش من جيبـي .. وتفحصتـه بعيني خبير .. كـان ناصع البياض .. انشرحت للحظـة خاطفة ثـم دسسته في جيبي ثانية ..

« الاسود والابيض محـال ان يلتقيا » .. حكمـة المحدثين .. ابتكار وتجديد .. هكذا الحال .. الابيض ابيض .. والاسود أسود ..

رائحة الفلافل الطازجة تتسلـل الى خياشيمي .. تلفـت حولـي ابحث عن مصدرها .. مـن ايـن جاءت ؟.. حلم يقظة .. القرش الابيض في جيبي يرتجف من بـرد الصباح .. تقشعر أصابعي كلمـا لامسته .. فتركته يضيع داخـل الجيب .. واحاطـت بالمبلـغ « المحترم » .. ماذا يحدث لـو « كسرت » بلغـة اليمني خمسة جنيهات .. ؟.. ماذا اقول له لـو جاء يسألني ؟.. ان كنت أهواه .. آه .. الحب .. ما قيمته بلا مال .. وما قيمة المال بلا حب ؟.. كلاهمـا عاشق متيـم بالآخـر .. الصوت الحنون ينساب مـن المذيـاع .. كراسي المقهى مرصوصة في عنايـة لاجتذاب زبائن الصباح .. ما اجمل ان يتناول المرء كوبـا مـن الشاي « بالحليب » .. مـع استراحـة

نفح الشباب

أوهت فؤادي باللحاظ تؤرق ... جفنا الى ذاك الروا يتحرق
شامية مرت علي فأسرت ... طرفي بسحر قوامها يتعلق
يا صورة الكون الجميل كما لها ... لما تجد في غيرها يتألق
لا تمعني بالصد يا مفتونة ... اني عليك من الصدود لاشفق
فلرب يوم تعشقين صبابتي ... وأهيم فيك على البعاد وأعشق
يا بهجة الدنيا وفيك مياسم ... فيها الملاب برشف جامك ينشق
ان القلوب على الدوام تقلب ... فهبي الوصال لمن اليك يشوق
لا تبخلي عمن يهيم تولها ... فلرب يوم لا يريم ويخفق
قلب ومن رقص القوام مهوم ... يغفو ويصحو والنياط تمزق
هيا الى نفح الشباب مشاعرا ... تهوى على لون الشفاه وتعبق
سحي عليها من رضاب شقيقها ... اكمام ورد حذوكم تطبق
حان الهوى يا مهجتي فتحيني ... حينا به أبواب قلبك يطرق
فاليوم بشراك الهوى من عاشق ... يصبو اليك وبالجنان يصفق

بغداد — عبد الصاحب المختار

قصيرة لاستعادة النشاط ..

عادت « معونة الشتاء » تؤرق بالي .. كيف سأتصرف ؟.. هل أدعه يخصم أربعة قروش من المبلغ « المحترم » .. « سخيفة » .. هل ارجوه ان يرحمني ؟.. لن يتركني بلا احراج ، وبلا تجريح ، وبلا خدش للافلاس ..

« لو كان الفقر رجلا لقتلته » .. قالها سيدنا علي رضي الله عنه وارضاه .. وانا .. يحق لي ان اقول .. « ألف لعنة ولعنة على الفقر » .. أفلتت مني ضحكة ساخرة .. لست فقيرا .. معي مبلغ « محترم » .. جعلني اكثر شموخا من العمارات .. أمسك بالسحاب .. عملاقا لم تر الدنيا مثله .. لسان جيبي يعلن للعالم عن ثرائي ..

ما اجمل ان يكون الانسان غنيا !! وما اجمل ان نحيا بلا هموم !!

وقفت امام الموظف .. دفعت اليه المبلغ بنظرات ملؤها الحسرة والالم .. تمهل الموظف قليلا .. أخرج من جيبه سيجارتين « كليوباترا » .. وضع احداها بين شفتيه ، والقى بالاخرى في « الدرج » .. اشفقت على حاله .. لو كنت مكانه لصرت كالكلب المجنون .. المطارد .. الذي يسيل لعابه على الدوام .. لصرت ابلها .. ترى اي احلام تراوده في ذهابه ومجيئه ؟.. واي خواطر تدور برأسه ؟؟ ..

تناول المبلغ ، وتفحصه بعناية .. خمسة .. خمسة .. وتفحصه ثانية .. ثم رفع راسه الي مادا يده باحداها قائلا :

ـ خذ هذه الورقة .. غيرها من البنك ..

امسكت بالورقة وتفحصتها .. كانت سليمة مائة في المائة .. القلعة تبدو جميلة المنظر .. والمدائن ترفع هاماتها الى عنان السماء .. قلت متسائلا :

ـ ما لها ؟.. انها خمسة جنيهات مصرية و ...

قاطعني قائلا :

ـ طبعة قديمة ..

ثم نادى زميلا له وسأله :

ـ ما رايك في هذه الورقة ؟..

يقول هذه الورقة .. الا يعلم قيمتها ؟.. انه يعلم .. لكنه يتصنع الغباء .. خمسة جنيهات .. يمكنه ان يحل بها ازمته المالية .. والنفسية .. و .. كما يمكنها ان تحل ازمة خمسة بيوتات .. بل عشرة ..

اخرجني زميله من خاطرتي وهو يدس الورقة في يدي مرة ثانية قائلا :

ـ انها متداولة في السوق .. لكن محظور علينا استلامها ..

خرجت الى الشارع ، وتنفست الصعداء .. « بركة اللي جات منه ما جاتش مني » .. ، « وجالك الفرج .. يا بائع اللبن .. ويا كوردنيري العائلات » .. « ويا مقهى الحرية » .. ويا اول فقير ستلقاني .. سأمنحك القرش الابيض .. و « يخلف علينا ربنا » .

سرت ادندن بأغنيتي المفضلة .. « ماذا اقول له » ؟؟ .. كنت اردد بلا وعي ولا تفكير .. ـ فجأة ـ هبطت مواضع خطواتي .. وتسمرت قدماي .. دفعت خطواتي بصعوبة بالغة الى اقرب « عامود » من اعمدة الانارة المطفأة .. أسندت ظهري اليه .. وسرحت بنظرتي الغاضبة .. ماذا اقول له لو جاء يسألني ؟.. اين الخمسة جنيهات الباقية ؟.. لماذا ؟.. ، وكيف ؟.. ، اني .. اني الف أمقته .. الف أمقته ..

القاهرة — جمعه محمد جمعه



مكتبة الاديب

نشوار المحاضرة
للقاضي ابي علي المحسن التنوخي

تحقيق وتعليق المحامي عبود الشالجي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

قد تاتي الظروف الادبية في بعض الاحيان بمفاجئات تثير الدهشة في نفوس القراء ، فانا اعرف الشاعر الكبير الحاج عبد الحسين الازري الذي يعتبر في طليعة شعراء العراق منذ العشرينات حتى وفاته لم تكن له شهرة ولا بعض شهرة بقول الشعر قبل قيام (سوق عكاظ) ببغداد في اوائل العشرينات ، واذا بالازري يدخل مباراة الشعر على حين بغتة ويفاجيء الشعراء والادباء بقصيدة رائعة حصلت يومذاك على احدى الجوائز المخصصة ، وادهشت الشعراء ، واصبحت حديث المجالس ، ومن يومها عرف بالشاعر الكبير في اوساط الشعر .

اقول : قد تاتي الظروف الادبية احيانا بمفاجئات تثير الدهشة في نفوس القراء ، ومن هذه المفاجئات كان تحقيق كتاب « نشوار المحاضرة » لابي علي المحسن التنوخي الذي قام بتحقيقه المحامي عبود الشالجي ، وان الذي يعرف المحامي الشالجي يعرفه من كبار رجال القانون ومن اشهر المحامين البارزين في ساحات القضاء ، ثم هو بعد ذلك اديب لامع ، وشاعر مبدع ، اما الشالجي المحقق ، والمحقق الذي ضرب اروع الامثال في الاحاطة بجميع المصادر والمظان التي قل من يستطيع ان يستوعبها ويستخلصها مثل هذا الاستيعاب والاستخلاص فلم يكن احد يعرفه الا يوم طلع علينا بتحقيق « نشوار المحاضرة » هذا التحقيق الذي لا اغالي اذا قلت ان الافواه قد انفغرت به عجبا ، فهو تحقيق وتصويب يدل على تمرس وسعة باع جد طويل في عالم البحث والترجمة والاستنباط .

والنشوار ، قام بتاليفه القاضي ابي علي المحسن التنوخي من ابناء القرن الرابع الهجري وهو ابن القاضي ابي القاسم علي بن محمد التنوخي من ابناء القرن الثالث الهجري ، ويعني النشوار لغة الكلام الطريف المستحسن ، وقد جمع المؤلف مواده من مسموعاته من ابيه وغير ابيه ، ومن مشاهداته الخاصة به ووقوفه بنفسه على اخبار الوزراء ، والقضاة ، والشعراء ، والكتاب مما لم تحتوه الكتب ولم يسبق التطرق اليه الا عن طريقه ، ولولا « النشوار » لما تم لنا ان نعرف الشيء الكثير مما ينبغي ان نعرف عن القرن الثالث والرابع من هذه الشذرات والقصص والاخبار التي اختص بها (النشوار) دون غيره .

وقد قضى المحسن التنوخي عشرين سنة كاملة وهو يجمع هذه الشوارد من مسموعاته ومشهوداته الشخصية حتى تالفت لديه احدى عشرة مجلدة وقد ضاعت كلها ولم يعثر الا على ثلاث مجلدات متفاوتة ، وقد انبرى المحقق الشالجي بل المحقق الكبير الى تحقيق هذه الاجزاء ثم استخراج الجزء الرابع والخامس من بطون الكتب مما روي على لسان المحسن التنوخي ومما لم يرو في الاجزاء الثلاثة التي قام بتحقيقها وقد تم له اليوم ان يستخرج خمسة اجزاء لم يترك اسما ورد في عرض الحديث ـ وهذا الكتاب مشحون بالاسماء ـ الا وترجمه المحقق ترجمة استخلصها من مختلف المصادر وكتب التراجم ، ثم انه اشار الى الكلمات والمصطلحات التي استعملها المؤلف وهي لم تزل تستعمل في بغداد ، ولم يكتف المحقق بهذا بل راح يدل في تحقيقه على المواقع والمحالات التي لم يزل تعيينها موضع الحيرة عند مؤرخي بغداد ، وهو عمل في منتهى المشقة والصعوبة ، وبهذا التحقيق تالف لدينا من الحواشي والتعليقات ثلاثة كتب مهمة لو اريد تجزئتها وحصرها ، وهي التراجم ، وتعيين المواقع المندثرة ، والشروح اللغوية والمصطلحات ، وحتى الخارج منها على اصول اللغة العربية مما كان يستعمل في القرن الثالث والرابع للهجرة ولم يزل يستعمل ببغداد حتى اليوم من تلك الكلمات .

ولست ادري لم فاتني الالتفات الى الكتابة عن هذا الكتاب الجليل بتاليفه وتحقيقه الا بعد صدور الجزء الخامس ولذلك لم يبق في ذهني شيء اقوله عن الاجزاء الاربعة الا الصورة العامة التي اشرت اليها ، وانا اعرف ان المحقق يهمه كثيرا ان يشير القاريء الى المآخذ اذا وجدت هنالك مآخذ ، وانما هنالك توافه عثرت عليها في الجزء الخامس لا تستحق ان تذكر لولا رغبة المحقق الذي يسره ذكر اي شيء يعلق في الذهن من تحقيقاته .

ومن هذه التوافه هو اني كنت اود ان يعلق المحقق بشيء من التشكيك في صحة بعض الاخبار ومنها قصة « امراة من اهل النار » ٥ ـ ٥٧ لا سيما وقد كانت له تعليقات كثيرة في التشكيك حول ما ورد في بعض القصص والشعر في الاجزاء السابقة .

كذلك كنت اود ان يعلق على ما ورد في بعض الشعر من الاغلاط كما علق من قبل في الاجزاء السابقة على ما اذكر ، وكانت الاصول التي نقل عنها مشحونة بالاغلاط النحوية واللغوية فغربلها المحقق وصححها واتانا بها صحيحة سالمة مستدركا ما فات على جامعيها من الاخطاء ، ومن هذه التوافه التي لم يتناولها تحقيقه ما جاء في الصفحة ١٥٦ وفي القصة المرقمة ٦٦ من الجزء الخامس قول القائل :

وصار ساه دهره   مقارنا للكمد

والصحيح (ساهيا) اذ ليس هنالك من الضرورات ما يتيح لنا ان نرفع المنصوب ، ومثل هذا ما ورد في الصفحة ١٦٠ وفي القصة المرقمة ٦٩ وهو :

يقولون لي مولى فلا تقربينه   فلا وابيه ما اطعت الاعاديا

والصحيح : (فلا تقربيه) .

وفي الصفحة ١٦٤ من القصة المرقمة ٧٠ جاء :

تقرأ السلام على الحبيب تحية   وتبثه بمطاول الاسقام
وتقل له ان التقى زم الهوى   لما سما متعجلا بزمام

والصحيح (وتقول له) وفي نفس هذه الصفحة جاء :

لئن كان تقوى الله زمك ان تنل   امورا نهى عن نيلها بحرام

والصحيح : (ان تنال) ولعل من الاغلاط المطبعية ما جاء في الصفحة ٢٥٥ (وجاؤوا ليأخذونه) وفي الصفحة ٢٥٧ (وجلس هو واصحابه واستاذه يحفظاني) .

وليس عمق التحقيق والتتبع والاستنباط والتعليق العلمي واللغوي هو كل مميزات هذا المحقق ، وانما كان لطبيعته المرحة وما اشتهر به من الظرف شان كبير في الكثير من تعليقاته .

وبالاجمال فقد ارانا الاستاذ عبود الشالجي العجب في تحقيقه ، وبحثه في بطون الكتب من المطبوع والمخطوط لجمع ما قد ضاع من من الشوارد والتعليق عليه مما يعجز عنه عدد من الباحثين متعاضدين

متكاتفين فقدم لنا خلاصة من تراجم طائفة جد كبيرة من الاعلام ، واماط اللثام عن كثير من المصطلحات والمسميات من المآكل والمشارب والعادات المعروفة في القرن الرابع الهجري وما قبله ، كما عين لنا الكثير من المواقع التاريخية ببغداد والتي ظل اغلبها طوال هذا الزمن دون تحقيق كاف ، ولا احسب احدا يستطيع ان يوفي هذا العالم المحقق حقه من الشكر فيما قدم من خدمة للتاريخ والادب اضافة الى ما قدم للعدل والحقوق من افضال في سوح المحاكم والقضاء .

بغداد ـ كرادة مريم **جعفر الخليلي**

•

الدكتور طه حسين بين أنصاره وخصومه

تأليف جمال الدين الالوسي ـ ٣٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة (؟)

لقد عودنا الاستاذ جمال الدين الالوسي ، على ان يغذي المكتبة العربية، بين حين وآخر ، بكتاب قيم او دراسة جادة . وكان اخر ما اتحفنا به، كتابه الموسوم ب « طه حسين بين انصاره وخصومه » . والكتاب يقع ب ٣٧٨ صفحة من القطع الكبير ، حدثنا فيه عن حياة عميد الادب العربي ، منذ ولادته في مدينة (مغاغة) سنة ١٨٨٩ م حتى يومنا هذا ، وقد حفلت هذه الصفحات بصور عديدة من المعارك الادبية، والمساجلات النقدية التي دارت بين الدكتور طه ، وبين خصومه الكثيرين . وقد انعكس في هذه الصور التي قدمها المؤلف الفاضل ، ذلك الصراع الفكري والادبي الذي قام بين كبار ادباء العروبة ومفكريها في الثلاثينيات من هذا القرن ، وهو الصراع الذي يجعل القاريء العربي اليوم ، يقف مدهوشا عندما يرى هذه العقول الكبيرة ، وتلك الاقلام الرائدة ، تتصاول وتتجادل في كثير من قضايا الامة ، لا فرق في ان تكون تلك القضايا ، قومية او ادبية او تاريخية او تربوية !!

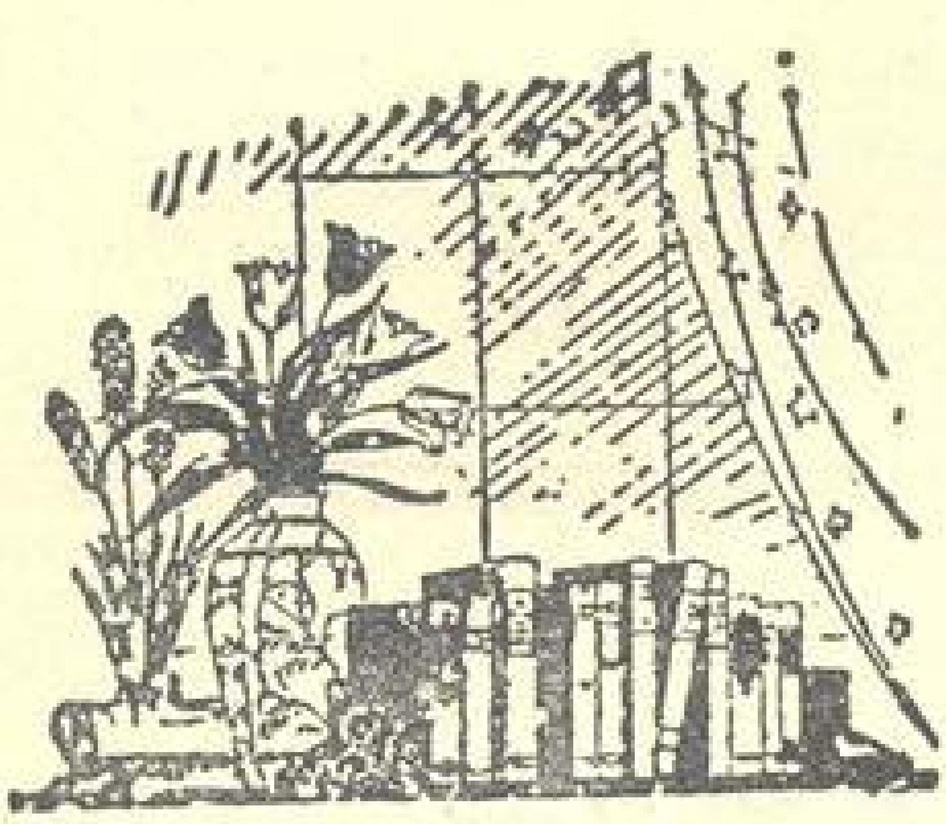
ولقد طالعت كتاب الاستاذ الآلوسي بامعان وتدبر ، رغبة مني في الاحاطة بمراحل حياة عميد الادب العربي الحافلة بجلائل الاثار والاعمال ، وفي الوقوف على اهم الملامح التي تتسم بها تلك الحياة التي جاوزت الثلاثة والثمانين عاما ، وهي لما تزل مصدر خير وعطاء !

ولما انهيت تلك المطالعة ، خرجت وانا شديد الاكبار للجهد الذي بذله المؤلف الفاضل ، وهو يسعى في البحث عن الحقائق المتعلقة بحياة هذا الاديب المملاق ، وعظيم الاعجاب بصبره وجلده وهو يجمع العديد من المصادر والمظان الكاشفة له عن كثير من صفحات تلك الحياة .

ولقد كان المؤلف متواضعا ، حين قال في فاتحة الكتاب « واني اعترف بنقص كتابي ، فليس في مقدوري ان احيط بأدبه الزاخر ولا يمكن ان يسع افكاره العريضة ، كتاب ، ولن يحدها بحث ، غير اني وعيت الكثير من الخطوط الاساسية لسيرته العطرة ، رافقته فيما كتب وما كتب عنه فسجلت ما وعيت ، عسى ان يكون كتابي هذا ، مادة مساعدة لمن يتصدى لدراسة طه حسين ! » لقد صدق المؤلف في اشارته هذه ، ذاك لان حياة الدكتور طه حسين ، حياة حافلة بجليل الاعمال، عديدة الصفحات ، متشعبة المواقف متسعة الآفاق ، ولكن الكتاب مع هذا ، كما نرى ، كتاب هام ، يعتبر بحق من مصادر دراسة حياة عميد الادب العربي الموثوق بها ، ذاك لان الدكتور طه نفسه كان قد اطلع على كثير مما جاء فيه من فصول ، وانه سجل للمؤلف « بعض التصويبات ونفى بعض الروايات ، واشار الى ضرورة النص في بعض الفصول » وهو على كل حال كان راضيا كل الرضا عن الفصول التي لخصت سيرته.

واذا اردنا ان نلخص للقاريء الخطة التي سار عليها المؤلف في تسجيل مراحل حياة الدكتور ، فيطيب لنا في هذا الصدد اثبات بعض

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الابيات من قصيدة الشاعر المبدع الاستاذ خالد الشواف المثبتة في صدر الكتاب والتي مطلعها :

جمال الديـن حسبك ان يقالا   تغيرت المواقـف والرجـالا

وحين اشار الى كتابه هذا مقرظا قال :

وهذا أنت في سفر جديد   يجلي العبقرية والخصالا
صحبت به (العميد) فتى طريرا   وواكبت الشباب والاكتهالا
وازجيت السنين كما طواها   الى شيخوخة وقرت جلالا
جلست اليه في (الكتاب) طفلا   وملت الى (المشايخ) حين مالا
يعابث في الدروس معلميه   ويغضبهم اذا طرح السؤالا
وتستهويه (جامعة) بمصر   فيزمع عن مشايخه انتقالا
ويستهويه في (باريس) علم   يشد الى معاهده الرحالا
ويداب في التعلم اي دأب   ولا يرضى بأيسره منالا
ينال (اجازة) ويروم اخرى   فلا يرضيه الا ان ينالا
ويظفر (بالحبيبة) بعد لاي   وييأس قاتم قصرا وطالا
ويرجع للكنانة المعيا   فيشغل منذ عودته الرجالا
وينقسمون فيه ، فذا نصير   وذا خصم ويذكون الجدالا
وتخطبه المناصب فهو كفء   لها رأيا ومقدرة وقالا
فان بلغ الوزارة وهو أهل   أشاع العلم سلسالا زلالا
ويرأس (مجمعا) فيكون تاجا   يزيد (الخالدون) به جلالا

ان هذه الابيات الرائعة ، تلخص للقاريء اهم المراحل التي عالجها المؤلف عن حياة الدكتور طه في كتابه ، وقد اثرنا اثباتها في كلمتنا هذه بدلا من الاطالة في الشرح ! واننا اذ نؤكد اهمية هذا الكتاب ، نود ان نشير الى بعض الحقائق التي وردت فيه وهي :

اولا ـ الدكتور الشاعر : لقد اثبت المؤلف في كتابه نماذج من شعر الدكتور كان قد نظمها في ايام شبابه ، وهو في هذه النماذج شاعر ، ذو قريحة متفتحة ، كان يمكن ان يصبح في عداد كبار الشعراء لو سعى الى تغذية هذه الشاعرية ، ولكنه كما قال المؤلف « انه لمن حسن حظه ، وحظ الامة العربية انه ترك الشعر !! »

ولما كانت هذه الحقيقة خافية على الكثير من القراء ، لا سيما قراء الجيل الحالي ، فان تعرض المؤلف لهذه الناحية عند الدكتور امر هام بالنسبة لدارسيه . وندرج فيما يلي ابياتا من قصيدته التي بعث بها الى صديقه الاستاذ احمد حسن الزيات مهنئا اياه بالزواج قائلا :

آه ، يا زيات ما اجمل ساعات الاماني
انا لولا سوء حظي لم اكن الا ابن هاني
يا شقيق النفس ضاق الشعر عن نظم التهاني
لا تلمني ان دعوت الشعر والشعر عصاني
جل حبي لك يا زيات عن وصف البيان

ثانيا ـ الدكتور واغنية الخلعي : روى المؤلف ان اعضاء لجنة الموسيقى في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، قد فوجئوا ، عندما قرأوا الكلمة التي كتبها كامل الخلعي على احدى اغنياته قائلا انها (من تاليف الشيخ طه حسين) . اما هذه الاغنية فقد سجلها المؤلف كاملة ودورها الاول قوله :

في العشاق   انا مشتاق
ابكي وانوح   بالاشواق
صدقني !

فهل كانت هذه الاغنية من نظمه حقيقة ؟! لقد اخبرنا المؤلف ان الدكتور حين اطلع عليها في كتابه قبل الطبع ، سجل هذه الملاحظة « ان المقطوعة نسبت الي خطأ ! » وهذه حقيقة يجب ان يعرفها اعضاء اللجنة وغيرهم !!

ثالثا ـ الدكتور ودار الكاتب المصري : وقد تطرق المؤلف الى علاقة الدكتور بدار الكاتب المصري التي انشأها في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، اربعة من الاخوة اليهود المصريين ، واصدروا عنها مجلة « الكاتب المصري » . ثم اشار الى تلك الضجة التي قامت حول هذه الدار اليهودية وعلاقاتها الخفية بالصهيونية : فدافع عن الدكتور طه حسين ومن عمل معه في المجلة وابعد عنه هذه التهمة قائلا : « اما براءة طه حسين ومن عمل معه من الكتاب فامر لا اشك فيه ، فهم لم يستغلوا ولم يروجوا للصهيونية ولا لهم علاقة باحد دعاتها ، وان ما انتجته دار الكاتب بعيد كل البعد عن هذه الاتهامات ! » ثم تكلم عن الاسباب التي حملت اصحاب هذه الدار على غلقها ، ولكنه مع ذلك قال « وقد يأتي يوم ينكشف سر غلقها ويزول هذا الشك !! » وبعد فلعل بعض كتاب الجمهورية العربية المتحدة يوضح لنا ما انكشف من هذا السر على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة !!

ولما كان المؤلف الفاضل قد قال في فاتحة كتابه كما قدمنا « باني اعترف بنقص كتابي فليس في مقدوري ان احيط بادبه الزاخر .. الخ » فاني أود بدوري ان ابدي بعض الملاحظات العابرة رغبة في اضافة شيء الى مواد هذا الكتاب ، فليسمح لي المؤلف الفاضل في ذلك وهي :

١ ـ حول النثر والشعر : كنت أود ان لا يغفل المؤلف عن تسجيل تلك المساجلة الادبية الهامة التي قامت بين الدكتور طه حسين وبين الدكتور محمد حسين هيكل على صفحات مجلة السياسة الاسبوعية سنة ١٩٢٧ ، وان اهمية هذا التسجيل ستزداد اذا ما علمنا بان شاعر العراق المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، قد رد عليهما بمقال نشرته له السياسة الاسبوعية يوم ٣ سبتمبر ١٩٢٧ تحت عنوان « حول النثر والشعر » ايضا .

٢ ـ امارة الشعر : لقد لاحظت ان الكتاب على سعته وشموله ، جاء خاليا من كل اشارة الى موقف الدكتور من (امارة الشعر) اللهم الا تلك الاشارة التي وردت في رأي الرافعي في الصفحة (٢٥٥) من الكتاب . لقد كان من المهم جدا اثبات رأي الدكتور في هذه القضية ، اذ كان له كما يعلم صدى واسع في الوطن العربي لا سيما بعد وفاة شاعري مصر العظيمين !

فالكل يعلم كيف ان الدكتور طه حسين ، كان قد جعل امارة الشعر من حصة العراق ، وكيف انه قلدها بعد ذلك للاستاذ العقاد واخيرا لشاعر القطرين الاستاذ خليل مطران !! واني لاذكر بهذه المناسبة تعليق الاستاذ احمد حسن الزيات على مبايعة الدكتور طه لشعراء العراق ، فقد نشر في الرسالة سنة ١٩٣٣ قائلا « خلا ميدان الشعر فجاة من قائديه العظيمين ، فحدث في صفوف الشعراء اضطراب وفوضى ، وقام في (السقيفة) المقلدون والمجددون ، يقولون منا أمير ومنكم امير !! وهنا ارسل الدكتور حكمه المعروف ، فزاد الخلاف شدة، والجدال حدة !! قضى للعراق بامارة الشعر التقليدي فغضبت مصر ، وكان الاستاذ الهراوي اشد المصريين حنقا واعنفهم خصومة !!

وسورية !! لقد هاجت العاصفة ، تدفع رأي الدكتور في حدة وعنف وتقول ما للدكتور يرسل الزعامة الى العراق في طيارة وكان يكفيه ان يرسلها الى صاحبها (مطران) بسيارة ؟!

والعراق ، هل اغتبط بهذه الزعامة ؟! اما الرصافي فيرجو ان يكون خليفة لشوقي وحافظ واما الزهاوي ، فانا اعلم انه يؤثر ان يكون في ساقة المجددين على ان يكون في طليعة المقلدين ! »

من كل ما تقدم كنت اود لو ان المؤلف الفاضل اولى هذه الناحية اهتمامه ولست ادري ما الذي ابعده عن طرق هذا الموضوع الهام ؟!

٣ ـ العنوان بالانكليزية : اما هذه الملاحظة فلا علاقة لها بموضوع الكتاب ، ولكنها تتعلق بالترجمة الانكليزية لعنوان الكتاب ، فالقاريء الذي يعرف الانكليزية يترجم العنوان المثبت على الغلاف الاخير على الشكل الآتي « طه حسين بين اصدقائه واعدائه » وهذا خلاف عنوانه الاصلي وهو « طه حسين بين انصاره وخصومه » والفرق واضح بين العنوانين ولذلك كان من الانسب ترجمة العنوان كما يلي :

وبعد : فتلك هي ملاحظاتنا العابرة التي رغبنا في وضعهـا تحت نظر صديقنا الفاضل وهي كما قلنا ، ملاحظات لا تقلـل من قيمـة كتابه ، الذي يعتبر خير مرجع لمن يتصدى لدراسة حياة الدكتور طـه حسين !

والكتاب فوق هذا وذاك أجمل هدية يقدمها اديب عربـي معروف هو الاستاذ جمال الدين الآلوسي الى عميد الادب العربي بمناسبة عيد ميلاده الرابع والثمانين !!

بارك الله بالمؤلف وسدد خطاه لما فيه الخير والفلاح .

بغـداد — عبد الرزاق الهلالي

•

الشارع ـ المدينـة ـ الرقـم

مجموعة شعرية ـ هدى اديب ـ ١٢٨ صفحة ـ المؤسسة التجاريـة للطبع والنشر ببيروت

اول ما يلفت الانتباه في ديوان « الشارع ـ المدينة ـ الرقم » هـذه الرمزية الحالمة ، وهذه التساؤلات الملحة ، و (اللغـة الشعريـة) المبسطة ، والتي تتراءى لك من خلال (شحنة) من العواطف الجمالية والافكار والصور المترابطة مع بعضها في وحـدة متكاملة غير قابلـة للتجزئة ، وغير خاضعة للقوانين الشعرية المتعارف عليهـا . ولكـن الشاعرة هدى اديب أرادت ان تثبت بالفعل انها قادرة على ان تعطـي عطاءا شعريا امتداديا لعطاء والدها الشاعر الرمزي المبدع البير اديب الذي كان اول المبشرين والممارسين لطريقة الشعر الرمزي ، على مدى اربعين سنة او اكثر .

وأي قاريء لشعر هدى اديب يشعر بأنه في حضرة شاعرة طموحة، جريئة ، تتطلع بجدية ، الى آفاق واسعة للالهام والابداع ، وهي حتى عندما تكتب اشعارها باللغة العربية، فانها تستمد افكارها ، وصورها، وتجاربها ، واحاسيسها ، وتأملاتها ، مـن منابع ثقافتهـا الفرنسية العميقة ، ولكنها نجحت الى حد بعيد في قولبتها عربيا .

ولقد شعرت خلال قراءتي لديوانها هـذا ، ولديوانها السابـق « ثلاثة مكعبات » الذي صدر في عام ١٩٧١ م شعرت كما لو كنت اقرأ قصائد فرنسية مترجمة الى العربية ، فاللغة التي تستعملها هـدى ، هي من دون شك ، لغة صافية خالية مـن الفذلكة والتقعر ، وكـل كلماتها منتقاة من احلى (الكلام الشعري) الـذي صنعت منه أحلـى قصائدها ، مستلهمة موضوعاتها من البيئة .. والحياة .. والناس ، ومن حركة الشارع ، وصخب المدينة ، فجاءت قصائدها على شكـل صور فوتغرافية حية ، تتشابك فيها مشاهد متعـددة الملامح والرؤى والالوان ، وهي تفلسف الحياة وتصرفـات البشر بطريقة عفويـة .. ساذجة ، كما لو كانت طفلة صغيرة تتراكض على ضمها الاستفسارات والتساؤلات والشكوك ، وهي تتخذ من (الضجر) رمزها الى اكتشاف علاقات الناس ببعضهم فتقول في احدى قصائدها :

« الناس يتقاتلون من الضجر
لا يفكر احد منهم ان لم يضجروا
بالحب اجتمعوا .. بالحب اختلفوا
الناس يتقاتلون دائما من الضجر
لـو لـم يكـن الضجر
لاهتدت فيهم الذاكرة »

وهي تمزج تأملاتها الفلسفية مع رمزيتها فتبتكـر تعابير شعريـة جديدة مثل :

« الاطفال يكبرون مع الضحك »

او مثل قولها :

« كامرأة حامل بالبحر تغيب الشمس »

وهذه الصور والتعابير الرمزية لمسناها من قبل في ديوان « لمن ؟ » للشاعر البير اديب ، ولمسناها في شعر بشر فارس ، ونلمسها في شعر سعيد عقل ، وهي متحدرة بحكم التأثير من عند فرلين وبودلين ورامبو، وغيرهم من شعراء الرمزية العالميين .

ولعل أي قاريء لشعر هدى اديب لا بد ان يصاب رأسه بالدوار قبل ان يكتشف سر شعرها العميق ... العميق جـدا . ولا بـد ان يحتار القاريء طويلا قبل ان يضع اي جواب امـام هذه التساؤلات الملحة ، والغامضة في كل مجموعاتها الشعرية ، وليس في ديوانها هذا فحسب .

والكلام الشعري عند هدى اديب هو كلام بسيط في مبناه ، ولكنه صعب وغامض ومعقد في معناه ، والكلمات والاحرف منتقـاة بعناية ، ومكتوبة بعناية اكثر ، ولا بد ان يكون القاريء على قدر كبير من الصبر والتحمل حتى يتسنى له اكتشاف (الابعاد اللامقروءة) في هـذا الشعر الغارق في الرمزية .

على انه لا بد ان نؤكد بأن الشاعرة نجحت الى حـد بعيد في ان تعكس في ديوانها هذا صراع المرأة والرجل ـ صراع الجسد والجسـد الآخر ـ صراع الحب والمحب ـ صراع الجنس والانسان ، حتى لكـأن الشاعرة ارادت ـ عن عمد ـ ان تكتب عن كل المتناقضات وتؤلف فـي ما بينها ، بل لكأنها ارادت ان تفلسف كل محتويات الكون ، الليـل والنهار ، الخير والشر ، الحب والكراهية . النور والظلام . الارض والسماء . الجدب والربيع ، ولكنها نجحت والى حد بعيد في ان تخلق من كل هذه المتناقضات لوحات شعرية في غاية الروعة والابـداع ، وان تقدم للمكتبة الشعرية العربية قصائد جديدة في كل شيء ، في اسلوبها، في كلماتها ، في موضوعاتها ، في اختيار فواصلها ، وحروفها ايضا ...

واعتقد ان مثل هذا الشعر (المودرن جدا) قد لا يصادف استحسانا وقبولا من كثير من النقاد ، ومع ذلك فما اعتقد ان احدا ينكر قيمته كظاهرة جديدة في شعرنا العربي ، الذي اصبح يفسح صدره الرحب لاستيعاب كل المحاولات التجديدية ، على اختلاف هوياتها ، ومستوياتها .

وكم تمنيت لو عنيت الشاعرة بالظاهرة الموسيقية في شعرها ، قدر عنايتها بالمحتوى الرمزي ، فقد اوجد فقدان الظاهرة الموسيقية في شعرها فراغا هائلا يصيب القاريء والناقد خصوصا بشيء من الارتباك والحيرة والضياع .

فليت الشاعرة ، اذن ، تهتم في قصائدها المقبلة ، بالطابع الموسيقي ، وخصوصا انها استاذة موسيقى معروفة ، وكان ينبغي ان نلمس في شعرها اثر ثقافتها الموسيقية ، اكثر مما نلمسه عند اي شاعر كان .

محمد العامر الرميح

ثرثرة الصباح

تأليف سعد البواردي – ٣٦٤ صفحة – حجم متوسط – صدر عن دار الاشعاع – مطبعة الغريب ببيروت

لا يزال الشاعر السعودي المعروف الاستاذ سعد البواردي ، في موقف العطاء الصادق للمكتبة العربية . وعلى الرغم ما اوتى هذا العصر من تكاليف الطباعة والنشر ، فان الشاعر المعطاء ، يملك من القابلية الفكرية ، ما يجعله يضحي بالكثير الكثير جدا ، في سبيل نشر انتاجه الفكري ، بداعي افادة المجتمع ، لا بداعي المنفعة الشخصية .

واذا كان الشاعر البواردي ، اعتاد في مؤلفاته الماضية ، ان يركز اكثر ما يركز عليه فكره في دواوين شعره المنشورة ، فان القاريء العربي ، سيجده في هذا الكتاب الجديد « ثرثرة الصباح » يعيش في عالم الكتابة والفكر ، ناثرا مبدعا ، يتلمس تتبع المواضيع الذات الاهمية ، بعمق واحاسيس لا يترك للقاريء مجالا للشك ، في انه يرسم طريق المجتمع الفاضل بمقالات وتعليقات جديدة ، تستند الى البراهين الحية ، وتعتمد على المنطق السليم .

لقد كان الاستاذ البواردي ، موفقا كل التوفيق ، في اختيار الآفاق المشرقة ، والتي تنم عن الروح العربية العالية التي يعيشها ابناء الجزيرة العربية بمواهبهم الفطرية ، وفطنتهم ذات الاصالة النقية الصافية . ويكفي ان نسوق للقاريء الكريم ، هذه الصورة الخالدة ، من بين تلك الصور الجميلة الهادفة التي حفل بها مؤلف الشاعر البواردي الجديد :

« كان سقراط يتعلم وهو كبير .. فقال له انسان :

– اما تستحي ان تتعلم على الكبر ؟

قال سقراط :

– حيائي من ان اكون جاهلا على الكبر اكثر .

هذا الحوار البارع بين سقراط وصاحبه ، ذكرني باعرابية مسنة تعيش بين ظهرانينا الآن حتى هذه اللحظة .

هذه الاعرابية الام تقضي عقدها السادس على الاقل ، ولكنها كانت في مستوى النضوج والتفهم والعقل ..!

لقد دلفت منذ مدة الى مدرسة صيفية بكل حماسها وحواسها تريد ان تتعلم .

لقد قالت ، وهي تجلس الى صويحباتها في تلك المدرسة الصيفية، وهن جميعا في عمر ابنائها ، قالت :

– سوف اتعلم حتى اموت .. لا اطيق ان اكون جاهلة .. سوف ابحث عن مدرسة رسمية تقبلني طيلة ايام العام ان امكن .

وحين قلن لها :

– ولكنك كبيرة السن ..! ماذا يكون شعورك وانت تجلسين الى جانب اطفال صغار دون العاشرة ؟

قالت :

– سيكون شعوري اجمل شعور واروعه لو تحقق .. سأدرك انني بدأت أعيش حياتي .. بدأت اكون شخصيتي على الوجه المرضي .. انني طفلة صغيرة مثلهم ما دمت لا احمل رصيدا من العلم .

وبعد .. لقد اعاد التاريخ نفسه .. مضى سقراط بعصره ، وجاء عصر هذه الاعرابية التي تعرفت على مستقبلها من بين خيوط النور ، فمضت تطلب المزيد من المعرفة ، لانها تعيش كما تقول : في زمن لا مكان فيه لجاهل » .

أجل : بمثل هذه الحقائق الثابتة البناء ، يبدو الاستاذ البواردي ، نير الفكر في اختيار مواضيع نثره ، كما كان من قبل نيرا في اختيار قصائد شعره .

طرابلس – لبنان **محمد اديب غالب**

كلمات اخيرة

ديوان شعر – محمد جنيدي – ١٠٠ صفحة – اصدار اتحاد الكتاب العرب في دمشق – مطبعة (؟)

كنت على موعد معك ، في حياتك ... ووددت ان نلتقي في منزلك عند سفح قاسيون .. وتشاء الظروف ان لا نلتقي ، وان لا استمع اليك ، واتحدث معك ، واطالع في عينيك المتالقتين شوارد احلام وافكار وشعر جديد . كنت تود ان تحقق احلامك كلها وانت تكلم كما عهدتك دائما بصدق وحيوية ونشاط ... كنت استمع اليك في امسياتك الشعرية جهير الصوت يتدفق الشعر قويا مرنانا وانت تحرك الكلمات ، تمثلها على المسرح ، فتخرج مندفعة لها تأثير على السامعين ، وتتلقى تصفيق المشاهدين بحيوية اكثر ، واندفاع اكبر .. كنت خير من القى شعرا فالهب الحماسة في الناس ... كنت تراني في الصفوف الامامية استمع اليك واصفق لك في كل امسية شعرية من امسياتك السالفة ... وابعدتنا الايام وكنت انتظر لقاء لم يتحقق ... الى ان لقيتك بعد فقدك باكثر من سنتين في ديوانك الجديد « كلمات اخيرة » الذي تفضل مشكورا بتقديمه لي شقيقك الشاعر الاديب توفيق الجنيدي .. فكان واسطة لقائنا الجديد وانت في العالم الآخر . وانا اطالع كلماتك الاخيرة ودمعة حب وذكرى تأبى الا ان تنحدر على وجنتي وانا اردد معك :

ويك يا داء ، كم رقصت على جرحي .. واثقلت هيكلي المتداعي

لم تزل تملأ الكؤوس لعيني ... من سلاف الدجى وخمر الضياع
ولو ان الشفاه تنسى لانستني ... لياليك صبوتي ويراعي
وهواي اليتيم .. والقبلة الاولى ... وخفقات قلبي الملتاع
كلما طفت حولها سكت الجرح ... وقرت على اللظى اوجاعي
فاذا كل زهرة ثغر طفل ... واذا كل قصبة فم راع
ونجي السراب لا يكبر الداء ... اليه ولا تطول الافاعي
ويك يا داء خل عني فما كبري ... بسهل كلا ، ولا مستطاع

وابى الداء اللعين الا ان يسدد سهامه للجسد الغض . جسد

الشاعر فيسافر الى موسكو للمعالجة هناك ... وهناك ينظم قصائد جميلة مليئة بالالم . وهو في منفاه على فراش الاوجاع بعيدا عن الاهل والوطن الذي اخلص له قولا وفعلا . يحن الى اهله ، الى دياره ، الى عشيرته ، الى طفله ، الذي لم يولد بعد ... فنستمع اليه يقول . (في رسالة الى ابنه عن طريق امه) :

قولي لـه ان لـم أعد قولي لـه .. انـي اراه
عينـاه اعـذب مـن حنـان الامهـات ووجنتـاه
ويداه زنبقتان حالمتـان .. يـا سلمت يـداه
قولـي لـه ... انـي دعـوت اللـه ربـي ان اراه

والى جانب ألم الفرقة وألم الوحدة وألم المرض ... آلام سيطرت على الشاعر وهو يرى الوطن مجتاحا مهانا يغزوه العدو الطامع ويحتل ارضه ويشرد شعبه فيقول في قصيدته من منفاه البعيد وكأني به وهو في وضعه المؤلم يريد ان يشارك الوطن في كل ما يعتوره من احداث استمع اليه في قصيدته يا سامع الصوت يردد :

يا سامعالصوت.. اسمعصوتيالوطنا ذاب الفؤاد حنينا.. وانتهىشجنا
طف بالشآم على الاحباب قل لهم ان الحديد وان الصخر قد وهنا
صمدت للداء اطوي ليله ارقـا لا اعرف النوم الا الغفلة الوسنا
يحيط بي فتية لم يجعلوا ابـدا لعونهم ان اعانوا عاثـرا ثمنـا

الى ان يقول :

صمدت للداء .. لكني لذكركم اذوب شيئا فشيئا حرقة وضنى
من لي بتلك المغاني!..لو يمر بها رضوانعند اجتماع الشمل لافتتنا
اني لاعلـم ان البشر زايلهـا وان رزءا لـوى هاماتها وحنـى
وان غوطتها الفيحـاء عاكفـة على الجراح فرادى اقبلت وثنى
وان جبهتها الفـراء قـد طعنت وان خافقها الخفاق قـد طعنا
وان سربا من الغربان باكرهـا قبل الصباح وان الصبح قد حرنا

الى ان يقول :

هيا الىالساح.. ان الساحترمقنا ان لم نسر للردى، متنا اذن حزنا
فلتدفني الضاحك المختال منتصرا بنصره ولنخلـي ضحكه كفنـا
لم ترهبي قبل لا جيشا ولا عددا ولا تهيبت اسطـولا ولا سفنـا

وينهي قصيدته بقوله :

كنانة الله افـدي فيك ساجعـة ان يمم الطير ايكا يممت دمنـا
ردي لها ايكها الزاهي وجنتهـا ونبعتيها . الزلال الشهد واللبنا

ومضى الشاعر باكرا قبل ان يكمل رسالته في الحيـاة وقبل ان يكمل عطاءه الثر . مات والشهد في فمه وحلاوة الحياة فوق مبسمه... صرعه الداء وارجعه الى الارض وكان يعلم انه سيذهب هكذا باكرا :

انا من تراب الارض هل ابقى انا ان كنت عن هذا التراب سارحل

وذهب محمد الجنيدي فقدناه . ولكننا مـا زلنا نتغنى بشعره ونردد قوله :

هذا التراب الحر كيف نخونـه وبـه جبلنـا مـرة وسنجبل
نم هانئا في حضنـه وانعم بمـا يرجو الحبيب من الحبيب ويامل

اللاذقيـة رياض نصور

•

فهـد العسكـر

تاليف عبد الله زكريا الانصاري – ٣٧٠ صفحة حجم كبير – طبعـة ثالثة – مطابـع الرسالة بالكويت

اعجبني في هذا الكتاب ، الذي توافر على تأليفه ، الاستاذ عبد اللـه زكريا الانصاري ، تاريخه الصادق لشاعر من شعراء الكويت المقدمين ، هو : فهد العسكر ... الذي مثل حياته ، وحيـاة مجتمعه بعاداتـه المتبعة ، وتقاليده الموروثة ...

ولا اخالني بحاجة الى تقديم الشاعر : عبد الله زكريا ، فقـد قدم نفسه في عديد من المقالات ، وعدة مؤلفات ، غير احاديثه الطلية ، وشعره الطالع الجميل ...

ويكفي ان تعاد طباعة مؤلفاته غير مرة ، بثوب جديد ، واضافـات جليلة ، لا تغير من مجرى الاصل ، او تخل من بنيان التأليف .

وكتاب : « فهد العسكر » دليل قوي على المعاودة ، وحجة بالغة على هذه الاضافات التي قال فيها المؤلف الاستاذ الانصاري ، رأيـه الصريح في فهد العسكر ، وما كان عليه هذا الشاعر الكبير ...

وكم كان جميلا من هذا الباحث ، وهو الذي عرف الشاعر عـن كثب ، وشافهه بقرب ، ان يقول « ما له وما عليه » ...

ابان الاستاذ الانصاري عن صاحبه ، وكشف ما لـم يكشفه غيره من البحاث ، فتعرض لفهد في حياته الخاصة ، وموقف مجتمعه منه ، حين رماه الناس بالكفر ، واعتزال الاهل له والصحاب ، وضيق الحياة في وجهه ، وعبوسها له ، وهربه منها الى ظل رآه « فهد » يخفف عنه آلامها ، ويدفع عنه احزانها ولاواءها ...

لكن هل كان زكريا الانصاري ، يسوق هـذه القضية ، ويسرد مثيلاتها دون ان يلمس الاثر الذي تتمخض عنه .. او يكون وليد هـذه الاحزان وتلك الآلام ...؟

الواقع ، ان الباحث ، قد كان صريحا كلـه في تناول صديقـه « فهد » ، وان كان يمشي على الشوك في احيان كثيرة ، حين يعرض

لقضية خاصة في حياة هذا الشاعر ، او يلازمه في اتجاهه الشعري ، وميله الى التحرر والانطلاق .. اذ مما لا شك فيه ، ان حياة اولئك.. صعبة الدراسة ، متأبية على التطويع ، نافرة ، الى ابعد الحدود ، عن ان تطامن من غربها ، او تخضع كما يخضع غيرها من سائر الشعراء الاسوياء ...

والذي يقرأ :

صهرت في ...... احزاني وصفت من ذوبها شعري والحاني
وبت في غلس الظلماء ارسلها من غور روحي ومن اعماق وجداني

يحس ان الباحث في حرج او في ضيق من هذا الذي يرسله الشاعر علانية دون ما حساب لاحد ، او ارعواء لعرف او تقليد ... لكن قد كان الاستاذ الانصاري حصيفا ، وهو يمضي في الحكم ، او يتخلص من هذا الذي ينتظر ان يقع فيه ، فقال : ان سلسلة الآلام والاحزان التي كان يعيشها « فهد » انعكست عليه ، فكان هذا الشعر الذي تنفس فيه ، وأطل به على هذه الحياة ، علّه ينسى الهموم ، وتذهب عنه الاحزان ...

وتناول الدارس : فهد العسكر ، في مدرسته الادبية المتحررة ، وانطلاقته من القيود الضيقة ، واتجاهه نحو التجديد ، دافعا عنه عدم استسلامه للنزعة التشاؤمية ، مبينا اثر الجمال في شعره ، وافتتانه بمشاهد الطبيعة وغنائه بالجمال ...

غير ان طبيعة الناقد ، قد كانت دائما تمسك بالاستاذ زكريا ، وهو يبعث صاحبه « فهدا » ، ويحيي دارس عهده في هذا الكتاب ، وهذه خصيصة قلما تكون في قلم شاعر ، او في عقل اديب ، يتناول صاحبا له ، او خدنا يعز عليه ، الا ان الباحث قد كان واعيا ، لم تفته هذه اللمسة ، وهو يطالع شعر « فهد » في كثير من المناسبات التي كان يدعى اليها ، ويقول فيها ذلك الشعر المتكلف الضعيف ، الصادر عن احساس غير صادق ، او شعور غير فياض ، وان كان الاستاذ زكريا ، يحكم على جل شعر « فهد » بأنه جزل في معانيه واسلوبه والفاظه ، مسايرا لحركة التجديد ...

على ان الباحث ، قد كان ناقدا في هذا الكتاب ، اكثر منه دارسا ، او مستعرضا لشعر « فهد » ، فهو يذكر الحادثة ، ويتبعها بتعليل ، ويمر على الوقفة ويتلوها بتحليل ، ولهذا كان اثره عن « فهد » تعليلا ، ووقفاته الشم الصلاب من بعض ما وقع لصديقه ، لها وميض ، وفيها التفات ، وان كان التخفيف فيها يأتي من بعض السرد ، او بعض التعلات ...

وقد اغنانا الاستاذ زكريا ، عن الدافع الذي دفعه ، لتناول هذا الشاعر : الشاكي الحزين ، بهذا الذي كان يثير في نفسه ، عاطفة الحب ، ويذيب في الوقت نفسه القلوب ، بعد ان يعصرها ألما ولوعة..

القاهرة **ابو طالب زيان**

•

ابحاث في اللغة العربية

تأليف الدكتور داود عبده ـ ١٦٢ صفحة ـ منشورات مكتبة لبنان ببيروت ـ مطبعة (؟)

يعد الدكتور داود عبده في طليعة اساتذة اللغة العربية الذين عرفوا بكفاءتهم وخبرتهم في تدريس اللغة العربية كلغة ثانية ، وقد نشر عددا من المؤلفات القيمة التي استعملت وما تزال تستعمل لهذا الغرض في جامعات غربية متعددة ، كما انه قام بمحاولات علمية لدراسة بعض ملامح اللغة العربية دراسة نظرية مستعينا في دراساته باحدث النظريات اللغوية وفي مقدمتها كتابه عن « النبر والنظام الصوتي في العربية » (بيروت : ١٩٦٩) وقد نشر بالانكليزية . ومؤلفه الاخير « ابحاث في اللغة العربية » يضم مناقشة نظرية مركزة لعدد من المسائل اللغوية المهمة التي شغلت ولا تزال تشغل علماء اللغة والنحاة العرب، كالصوت الصحيح المشدد ، والمد الطويل وتقصير المد الطويل واداة التعريف ، واسم الموصول والضمائر المتصلة وظاهرة المطابقة ، والعربية الفصحى واللهجات المحكية ، وحركات الاعراب ، والقلب المكاني ووزن افتعل ، والنبر والتحليل اللغوي الداخلي .

ويجد القاريء ، بالاضافة الى هذه الموضوعات ، وقبل ان يشرع بقراءة الفصول الخاصة بها ، عرضا مفيدا لبعض مناهج البحث اللغوي وفلسفتها ، ورأي المؤلف فيها ، وذلك في الفصلين الاول والثاني اللذين تناولا « المنهج الوصف التقريري والمنهج الوضعي التفسيري » و « المدرسة الوصفية والتقدير في النحو » .

واذا كان لنا ان نشير الى مميزات الكتاب البارزة فان اول ما يتبادر الى الذهن منهج المؤلف الوصفي التفسيري الذي لا يكتفي بوصف الظواهر اللغوية بل يحاول قدر المستطاع ايجاد تفسير لها ، مستعينا في ذلك بآراء النحاة القدامى واحدث النظريات اللغوية . والميزة البارزة الاخرى تتجلى في حرص المؤلف على الرجوع الى آراء النحاة واللغويين القدامى (كابن الانباري وابن جني وابن يعيش والزجاجي وسيبويه) ومناقشة ما ورد في دراسات اللغويين العرب المعاصرين من تفسيرات او مواقف كابراهيم أنيس وعبد الرحمن ايوب وفؤاد ترزي وابراهيم السامرائي وشوقي ضيف وأنيس فريحة ومهدي المخزومي ، الى جانب آراء بعض المستشرقين .

ومما لا شك فيه ان كثيرا من القراء سيجدون في الكتاب منهجا لم يكونوا قد الفوه من قبل ، وتفسيرات قد تخالف ما يؤمنون به ، وهو امر توقعه المؤلف نفسه في مقدمته ، غير ان ذلك لا ينال من قيمة الكتاب كمحاولة موضوعية جادة لاعادة النظر في مفاهيمنا اللغوية او تفسيراتنا لبعض جوانب اللغة العربية ، بل قد لا اكون مبالغا ان قلت بان من المنتظر ان يكون له اثره الايجابي في اشاعة المنهج العلمي الحديث في دراساتنا اللغوية .

جامعة انديانا ـ الولايات المتحدة **صالح جواد الطعمة**



ظهر حديثاً

● حضارة بريئة ـ مجموعة شعرية ـ مجتبي الحسيني ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الصادق ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصنم المحطم وعجوز تتصابى ـ قصتان ـ تأليف عبد المسيح وزير ـ نشرتهما ابنته اينس وزير ـ ٩٦ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام العراقية على نشره ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● شعر ـ للشيخ ابراهيم المنذر ـ تقديم امين نخلة ـ الرسوم لجمال معلوف ـ الجزء الاول ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتب الدراسات العلمية (؟) ـ المطبعة البولسية (؟) ـ (صدر في لبنان) .

● اضواء على الشعر الحديث ـ تأليف راجي عشقوتي ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة صادر (؟) ـ (صدر في بيروت) .

● نداءات السحر ـ مجموعة شعرية ـ محمد خالد رمضان ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ـ مطبعة العلم (؟) .

● الزنزانة المتجولة ـ تأليف محمد حسن الحمصي ـ ١٣٦ ـ صفحة ـ الكتاب ٣ من سلسلة قصص من التاريخ ـ مطبعة دار الكتاب (؟) ـ (صدر في دمشق) .

● ثرثرة الصباح ـ تأليف سعد البواردي ـ ٣٦٦ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع ـ مطبعة الغريب ببيروت .

● ابو دلف الخزرجي ، عبقري من ينبع ـ تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ مصمم الغلاف حمد كليب الحارثي ـ ١١٢ صفحة ـ الكتاب ٧ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

● قصائد من مقبل العيسى ـ مصمم الغلاف فوزي زقزوق ـ ٤٨ صفحة ـ الكتاب ٨ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

● ديوان صيدح : في اربعة اجزاء ـ الجزء الاول : حكاية مغترب مع بني قومه ـ ٢٤٠ صفحة ـ مطبعة الامان بدرعون (لبنان) .

● دراسات تاريخية عن اصل العرب وحضاراتهم الانسانية ـ تأليف الدكتور محمد معروف الدواليبي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كتاب ادب الغرباء لابي الفرج الاصبهاني ـ نشره عن مخطوطة فريدة في العالم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● كتاب اختلاف اصول المذاهب للقاضي النعمان بن محمد ـ تحقيق ش ـ طيب علي لوكهند والا ـ ٢٦٢ صفحة باللغة العربية و١٩٠ صفحة باللغة الانجليزية ـ المطبعة القيمة ، بهيوندى بومباي الهند .

● الق الجوى ـ مجموعة شعرية ـ عبد الصاحب المختار ـ تقديم كمال ابو السعود ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات مكتبة المنار ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عمي بوشناق ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد الرحمن الفاسي ـ الرسوم لمحمد القادري ـ الخطوط لمحمد المعلمين ـ ١٤٢ صفحة ـ الكتاب رقم ٢ في سلسلة « والقلم » ـ مطبوعات وزارة الثقافة والتعليم الاصلي والعالي والثانوي ، المديرية العامة للشؤون الثقافية بالرباط المغرب ـ مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية في فاس بالمغرب .

● حصاد الندم ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد العزيز الشناوي ـ تقديم ثروت اباظة ـ ١٣٢ صفحة ـ الكتاب ٨ من منشورات اصدقاء الكتاب ـ مطبعة ريحان بالسنبلاوين (مصر) .

● ايقاع .. وبشر .. ـ مجموعة قصص ـ تأليف محمود تيمور ، عبد العزيز الشناوي ، نجيب محفوظ ، عماد الدين عيسى ، ثروت اباظة ، محمد الزامك ، محمد جبريل ، احمد جوهر ، عبد العال الحمامصي ، شوقي وافي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات اصدقاء الكتاب ـ مطبعة المحبة بالمنصورة (مصر) .

● اشهر الجرائم الجنسية ـ تأليف مارسيل مونتارون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● موعد مع الشجاعة : قبس من حياة عبد العزيز آل سعود ـ تأليف قدري قلعجي ـ ٢٨٨ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع الخال ببيروت .

● القوى الخفية في السياسة العالمية ـ تأليف ل. فراي ـ مراجعة البروفسور دنيس فاهي ـ ترجمة العقيد محمد كمال ثابت ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ناسف الجسور : قصة البطولات العربية في معركة الفداء ـ تأليف عاطف احمد حلوه ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● صناعة الكتابة ـ تأليف الدكتور فيكتور الكك والدكتور اسعد علي ـ ٤٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار غندور (بيروت) .

● الموسوعة الموجزة ـ تأليف حسان بدر الدين الكاتب ـ الجزء ٥ ـ المجلد ٢ ـ حرف ج ـ ١١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● حول المسالة الحضارية وبعدها الثقافي ـ تأليف محمد منلا غزيل ـ الكراس ٢ في سلسلة دراسات في واقعنا ـ ٣٦ صفحة ـ حجم صغير ـ مكتبة دار الفتح بدمشق ـ مطبعة الشرق (بدمشق) .

● فتح والثورة الفلسطينية ـ تأليف معين احمد محمود ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مناقشة اراء العلماء والقادة السوفيات في الامة والطبقة والوحدة والمقاومة وقضية فلسطين ـ تأليف قدري قلعجي ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الغد ببيروت .

● قطار الصدفة ـ تأليف جاد الحاج ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي (بيروت) ـ مطبعة سميا ببيروت .

● الاعتراف ـ تأليف ارتور لوندون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الثورة والثقافة ـ تأليف انده جيد ، لويس فيشر ، ريتشارد رايت ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● افيون المثقفين ـ تأليف ريمون آرون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الماركسية في ابعادها المختلفة ـ تأليف راسل ، دارلنفتون ، سبندر ، وآخرون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف في الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .